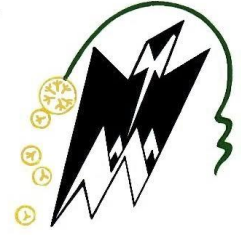


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مولود معمري - تيزي وزو



قسم العلوم الإنسانية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

السياسة الرومانية الزراعية في بلاد المغرب القديم خلال
العهد الإمبراطوري الأول 27ق.م - 285م

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص تاريخ وحضارة بلاد المغرب القديم

تحت إشراف:

أ. بوسلن صفيان

من إعداد الطالب:

عميري سمير

لجنة المناقشة

المؤسسة الأصلية	الصفة	الرتبة	الأستاذ
جامعة مولود معمري - تيزي وزو	رئيسا	أستاذ محاضر	فراح فازية
جامعة مولود معمري - تيزي وزو	مشرفا ومقررا	أستاذ محاضر	بوسلن صفيان
جامعة مولود معمري - تيزي وزو	مناقشا	أستاذ محاضر	سي الهادي ذهبية

السنة الجامعية: 2023-2024

الإهداء

أخصص بالمقام الأول هذا الإهداء إلى عائلتي التي كانت سندي في كل خطوة في مشواري وحياتي .

كما أهدي هذا العمل لكل باحث ومؤرخ كرس حياته للدفاع عن تاريخنا المحلي والتعريف به من رؤية محلية .

قائمة المختصرات

Ant. Af. : Antiquité Africaine

B.H : Bibliothèque Historique

C.R.A.I : Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres

D.A.G.R : Dictionnaire des antiquités Grecques et Romaines

E.S.C : Economie, Sociétés, Civilisation

H.G : Histoire Générale

M.A.H : Mélange Archéologique d'Histoire

P.U.F : Presse Universitaire de France

R. Af. : Revue Africaine

R.B.P.H : Revue Belge Philologie d'Histoire

R.E.A : Revue des Etudes Archéologique

مقدمة

يندرج هذا البحث ضمن التاريخ الاقتصادي القديم للشمال الإفريقي خلال فترة الإمبراطورية الرومانية، التي تدخلت بالمنطقة سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا واقتصاديا، ومن هذه المجالات المذكورة سنحدد في خانة الاقتصاد الجانب الزراعي في إفريقيا الذي سنتناول فيه العناصر الأساسية المتعلقة بهذا الموضوع ومدى تطوره وتأثره بتدخلات هذا الوافد، وهو يعتبر عنصر فاعل في أي اقتصاد سواء في القديم أو حاليا ونستهدف من هذه المحاولة القيام بمعالجة هذا الموضوع انطلاقا من كرونولوجية الأحداث والتغيرات الاقتصادية وكذا من الظروف السائدة التي رافقت النشاطات الزراعية وطرق ممارستها في المنطقة.

إن طول المدة الزمنية للاحتلال الروماني في شمال إفريقيا من شأنه أن يعطي لنا فكرة بسيطة عن حجم الاستغلال الذي مارسه الرومان على الأفارقة الذين سبقوا هذا الاحتلال للزراعة منذ عهد قديم ثم لاحقا القرطاجيين وفترة الممالك النوميديّة التي ازدهرت فيهما الزراعة وكذلك على حساب الأراضي الإفريقية التي جعلتها الخصائص المناخية خصبة وملائمة لهذا النشاط والتي تنتج كميات كبيرة من مختلف المحاصيل وبجودة عالية وأهمها الحبوب التي يتصدرها القمح. فازدهار الزراعة وصل إلى ذروته خلال الفترة الإمبراطورية نظرا للتوسع الكبير الذي قامت به على مناطق البحر الأبيض المتوسط وكذلك راجع للسياسة التي انتهجتها السلطات الرومانية المتمثلة في إنشاء منظومة فلاحية مبنية على أسس قانونية وتشريعية مطبقة على تلك الأرض والتي تعمل على تنظيم استغلالها وتحديد ملكيتها.

فهذا التخطيط جعل المنطقة تحقق ثراء اقتصاديا كبيرا في الفترة الإمبراطورية خاصة في العهد الأول منها ما بين 27ق.م و 284م، لتكون الزراعة في صدارة الاقتصاد الروماني، نفس الفترة التي ستعرفنا على آلية سير سياسة روما الزراعية في شمال إفريقيا انطلاقا من الدلائل الأثرية التي ترجع أغلبها للمناطق التونسية والإقليم الأوراسي في الجزائر، إضافة للمصادر الأدبية القديمة التي تطرقت للموضوع. ولهذا الغرض جاء موضوع بحثنا تحت عنوان:

السياسة الرومانية الزراعية في بلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول
(27ق.م-284م).

إن تاريخ الفترة المختارة لهذا الموضوع (27ق.م-284م) حلت عليها بعض الاختلافات في تحديدها من طرف العلماء والمؤرخين، ليس من حيث بدايتها ولكن في تاريخ نهايتها الغير محدد بصفة ثابتة، وللإشارة فقد قسمت الفترة الإمبراطورية إلى قسمين هما الفترة الإمبراطورية الأولى (الأعلى) الممتدة من نهاية النظام الجمهوري سنة 27ق.م إلى سنة 284م، والفترة الإمبراطورية الثانية (الأسفل) التي تمتد من سنة 284م إلى غاية سقوط الإمبراطورية الرومانية سنة 476م، فالتاريخ المُختَلَف عليه هو التاريخ الذي يفصل الفترتين، إذ يقترح بعض المؤرخين تحديدها في نهاية عهد الأسرة الأنطونية (Antonins) سنة 193م، وآخرون يرجحون تاريخ 235م الذي تم الإطاحة فيه بالأسرة السفيرية (Sévères)، بينما مجموعة أخرى منهم تقترح سنة 284م فترة بداية حكم الإمبراطور ديوقليانوس (Dioclétien)، وهذا الاختلاف بيّنته مختلف الأبحاث(*)، والحدث المشترك أو الأقرب بين هاته التواريخ هو أزمة القرن الثالث التي انتهت باعتلاء ديوقليانوس عرش الإمبراطورية

إن تغيير نظام الحكم في الدولة الرومانية من الجمهوري إلى الإمبراطوري رافقته تغيير لسياسات الدولة خاصة اقتصاديا، فقد نظمت المنطقة المغاربية إلى مقاطعات وزوّدتها بأجهزة إدارية غرضها تسهيل التهيئة الإقليمية للأراضي لاستغلالها عن طريق مجموعة من الوسائل الني وفرتها سواء قانونيا بنصوص ومراسيم تشريعية يضمن التحكم بها بالباسها هذا الطابع القانوني، أو ميدانيا عن جهاز إداري يسير الأراضي التي تم تجهيزها بالأدوات والعتاد الزراعي وكذا شبكة من منشآت الري لمجابهة الظروف المناخية للمنطقة، ما سيمكنها من تحقيق توسع زراعي يشمل مختلف المنتوجات من الحبوب والزراعات الشجرية.

(*) فمن خلال هذه الأمثلة من مختلف الدراسات نلاحظ اختلاف في تحديد تاريخ نهاية الفترة الإمبراطورية الأولى، انظر:
 - Yves Roman, le Haut-Empire Romain (27av. J.-C. – 235ap.J.-C.), Ellipses, 1998.
 - Paul Petit, Histoire Générale de l'empire romain, le Haut-Empire (27an.J.-C. – 161ap.J.-C.), du Seuil, 1974
 - Chrystelle Berthon (2000), Petite chronologie de l'histoire romaine -III, URL : <https://odysseum.eduscol.education.fr/petite-chronologie-de-lhistoire-romaine-iii> consulté le 12/09/2024
 - Isa Germain, (2020), le droit romain a la periode du Dominat (284-476. Après J.C), URL : <https://cours-de-droit.net/droit-romain-a-la-periode-du-dominat-284-476-apres-jc/> consulté le 12/09/2024

ويدخل اختياري لهذا الموضوع في اهتماماتي الشخصية بالجانب التاريخي لاقتصاد شمال إفريقيا القديمة إلى جانب كونه موضوعا غير متصدر للدراسات والأبحاث خاصة أمام نظيره الجانب السياسي، ودراسة هذا الموضوع خطوة مهمة لمعرفة الحقائق المطموسة حول المنطقة منها الجدل القائم حول بدايات الزراعة، وإسهامات المحليين في تطورها خلال الفترة الإمبراطورية واستفادة هذه الأخيرة من القاعدة المهيأة من أصحاب الأرض الذين كانوا مارسوا هذه النشاطات لأزمنة طويلة، وما أثار فضولي أكثر هو طبيعة ونوعية المعلومات التي تقدمها لنا البقايا الأثرية خاصة مشاهد الفسيفساء، وكذا أوصاف المؤرخين القدامى للحياة الزراعية وتلك التقنيات والأساليب العلمية المستخدمة في منطقة شمال إفريقيا.

وكلل المواضيع التاريخية القديمة ؛ يثير هذا الموضوع عدة تساؤلات في الكثير من جوانبه بحيث تدفعنا البقايا الأثرية الشحيحة والمصادر الكتابية إلى تشكيل عدة نقاط استفهام حول السياسات والمنهجيات التي سار عليها الاحتلال الروماني وطبقها في تسيير القطاع الزراعي في منطقة بلاد المغرب، وعليها نطرح الإشكالية الآتية:

ما هي السياسة الزراعية التي اتخذها الرومان في الفترة الإمبراطورية الأولى لتنظيم الزراعة؟

ومنها طرحنا الأسئلة الفرعية التالية:

ما هي طبيعة ومحتوى التشريعات الفلاحية الرومانية؟ وفيما يتمثل نظام استغلال هذه الأراضي الزراعية وتخطيطها؟ وما هي الأساليب والتقنيات التي شكلت آليات الاستغلال الميداني لها؟ وهل كان للفترة ما قبل الرومانية دور في المشروع الزراعي الروماني؟

وللإجابة على هذه الإشكالية — أخذنا الموضوعية من الأولويات — تم الاعتماد على أكثر من منهج لغرض دراسة أفضل تطابق المحتوى العلمي والمعرفي المتنوع للبحث، استعملت المنهج التاريخي السردى لغرض الإحاطة بالأحداث والتغيرات السياسية والاقتصادية التي رافقت وأثرت في المجال الزراعي والذي يساعد في إعطاء لمسة موضوعية للبحث، وتم استخدام المنهج الوصفي في العديد من نقاط البحث تمثلت في تقديم

مواصفات النقوش الأثرية وكذا استقراء باقية من الفسيفساء إضافة لوصف عدة منشآت ووسائل زراعية، كما تم الاعتماد على المنهج التحليلي خاصة فيما يتعلق بنظام استغلال المستثمرات والملكيات الزراعية والذي أعدناه على شكل مخطط، إضافة إلى تحليل دراسات بعض المؤرخين حول قدم الزراعة ودورها في تهيئة المجال للرومان، وقمت بالاستعانة بالمنهج المقارن في بعض العناصر بهدف التفريق بين موضوعين متشابهين كالمقارنة التي قمت بها بين معصرة الزيتون ونظيرتها معصرة الكروم، كما تم استخدامه أيضا من خلال مقارنة سياسة ماسينيسا في التعامل مع القبائل البدوية مع سياسة روما المتطابقة مع الأولى. فهذه المناهج ستساعد على معالجة ودراسة البحث وإحاطة أفضل وأشمل بالموضوع.

ولهذا تم هيكلة البحث خارج المقدمة والخاتمة في ثلاثة فصول بحيث الفصل الأول سيعالج السلسلة الكرونولوجية للزراعة ما قبل الفترة الإمبراطورية بداية من فترة ما قبل التاريخ مرورا بالفترة القرطاجية والنوميديية إلى غاية الفترة الرومانية، كما سيحتوي الفصل الثاني على الجانب التشريعي والقانوني للزراعة وكذا التخطيط الزراعي للأرض لغرض فهم طريقة السلطات في تنظيم هذا المجال، أما القسم الأخير والثالث سيعالج آلية السير الميداني للزراعة والإنتاج، بحيث يمكننا النظر من خلاله وأخذ فكرة معينة عن مدى نجاح تلك التشريعات على الميدان.

في الفصل الأول تم التطرق إلى كرونولوجية الدراسات حول بدايات الزراعة وقدمها في إفريقيا، ما يسمح لنا بمعرفة مختلف التغيرات والتلميحات التي تشير لوجودها في الفترات القديمة من ما قبل التاريخ إلى غاية ما قبل الفينيقيين، ثم تم التطرق إلى الزراعة القرطاجية التي ازدهرت في نهاية حقبتهم، وكذلك المحلية ومدى تطورها والتي أشرنا أنها لا دخل لها للوافيين وبلغت ذروة النجاح والازدهار خلال الفترة النوميديية خاصة في عهد الملك ماسينيسا الذي أقام ثورة زراعية في المنطقة، كما عالجت دور التهيئة المحلية للقاعدة الزراعية في إبراز الزراعة الرومانية في إفريقيا.

أما الفصل الثاني الذي تم عنوانته بـ"التخطيط الزراعي والطابع القانوني للأرض" فقد عالج بشكل خاص جانب التشريعات والمنظومة القانونية المخصصة لتطبيقها على الأراضي

حيث تم التطرق إلى مصادر هذه التشريعات والمتمثلة في نصوص النقوش الأثرية القانونية التي حملت مجموعة من المواد والبود، ثم انتقلنا لأشهر قانونين هما قانوني مانكيانا وهادريانا وكذا تشريعات الري وبعدها إلى مرحلة تنظيم واستغلال الأرض الذي سنتعرف فيه على نظام عمل الكنترة وتقسيم الأراضي التي سهلت من السيطرة والتحكم بها وكذا عملية جمع الضرائب وأنواعها.

وفي الفصل الثالث انتقلنا من الجانب القانوني إلى الجانب الميداني تحت عنوان "آلية السير الميداني للعملية الزراعية والإنتاجية"، تطرقنا فيه للوسائل والتقنيات المستعملة في ميدان الزراعة من أدوات يدوية وذات الجر بدواب إلى الحيوانات التي استعان بها مزارعي الفترة الرومانية خلال مراحل الزراعة الموسمية من الحرث إلى الحصاد والاستعمال، ثم تم الانتقال إلى شبكة منشآت الري التي تعددت أنواعها وأشكالها حيث كانت أحد عناصر نجاح الزراعة في المنطقة غرضها مقاومة الخصائص المناخية للمنطقة، وما زالت بعضها في حالة جيدة، ثم في الأخير استعرضنا نتائج هذه الأعمال ألا وهي المنتجات الزراعية التي تنحصر في الحبوب والزراعات الشجرية كالزيتون والكروم حيث تم معالجة كيفية الطحن والعصر لمختلف هذه المواد وكذا استعمالاتها.

واعتمدنا في معالجة هذا الموضوع على مجموعة من المصادر الكلاسيكية خاصة كولوميل (Columelle) في كتابه الاقتصاد الريفي (l'Économie rurale) الذي وصف عدة تقنيات وأساليب للزراعة في الفترة الرومانية، إضافة لبلين الكبير (Pline L'Ancien) في كتابه التاريخ الطبيعي (Histoire Naturelle) الذي اعتمدنا فيه على الإشارات التي تعلق بالزراعة الإفريقية في فترة الرومان رغم أن هذا المصدر يتناول بشكل أساسي الجانب السياسي والعسكري للمنطقة أكثر منه اقتصادي، كما تم استخدام باقة من المصادر الني أفادنتي في الموضوع رغم أن جلها كان في الفصل الأول وهم: ديودور الصقلي، بوليب، هيرودوت، سالوست وسترابون.

أما بخصوص الدراسات فالحصة الأكبر كانت باللغة الفرنسية خاصة فيما يخص الدراسات الأثرية للنصوص القانونية منهم كاركوبينو (Carcopino.J)، كانيا (Cagnà.R)،

توتان (Toutain.J) وصوماني (Saumagne.C) وغيرهم من الذين اكتشفوها وعملوا على ترجمتها وتفسيرها لفهم محتوى التشريعات الرومانية، كما أفادتنا أيضا دراسات غابريال كامبس من خلال كتابه المترجم "في أصول بلاد البربر : ماسينيسا أو بداية التاريخ"، وبالمجمل تم الاستعانة بدراسات تابعة لمجلات ودوريات متخصصة في المجال مثل : المجلة الإفريقية (Revue Africaine), الأثرية الإفريقية (Antiquités Africaines) وتقارير من أكاديمية النقوش والآداب (C.R.A.I) وغيرها، كما تم استخدام القواميس منه القاموس اللاتيني الفرنسي (Dictionnaire Latin-Français) وقاموس الأثرية الإفريقية والرومانية (D.A.G.R)، أما باللغة العربية فقد اعتمدنا بشكل خاص على دراسات محمد البشير شنياتي في كتابه "التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني" إضافة إلى محمد العربي عقون من خلال كتابه "الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم" إضافة لمحمد الهادي حارث في كتابه "التاريخ المغربي القديم" الدراسات التي أفادت الموضوع من مختلف جوانبه، وأخيرا الرسائل الجامعية والتي نذكر منها مذكرة الماجستير لخنيش عبد الفتاح المعنونة "التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية" والتي اعتمدت عليها بشكل مكثف وأفادتني في بناء عدة عناصر من الموضوع.

تكمن الصعوبات التي واجهت البحث في طول الموضوع من حيث المحتوى بحيث صَغِبَ اختيار العناصر الأساسية لدراسته خاصة الربط بين الفصول والعناصر الفرعية للبحث، إضافة لصعوبة الإلمام بتفاصيل كل نقطة من الموضوع رغم أهميتها ومكانتها في هذه الدراسة، إلا أن البحث المستمر ساعد على التقدم في إنجازهِ وتحديد أبرز نقاطه الأساسية. وفي الأخير نخص هذه الأسطر لنتقدم بشكرنا الخالص لأستاذنا بوسلن صفيان الذي وقف معنا إلى غاية آخر يوم من إنجاز هذا البحث والذي أفادني كثيرا بنصائحه .

الفصل الأول: أوضاع الزراعة في بلاد المغرب قبل الفترة الإمبراطورية

- I. بدايات الزراعة في بلاد المغرب القديم
- II. الزراعة في العهد القرطاجي
- III. تطور الزراعة في العهد النوميدي
- IV. دور فترة ما قبل الاحتلال الروماني في تهيئة القاعدة الفلاحية خلال الفترة الرومانية

1. بدايات الزراعة في بلاد المغرب القديم:

تباينت آراء المؤرخون حول قدم الزراعة في بلاد المغرب إذ يرجع البعض منهم أنها بدأت منذ قدوم الفينيقيين تحديدا بعد تأسيس قرطاجة بحوالي ثلاثة قرون، أي لم تكن هناك ثقافة زراعية في المنطقة المغاربية قبل القرن الخامس ق.م إلا بعد أن أخذوها من طرف هذا الوافد، إذ كانت عبارة عن حياة رعوية وبدوية¹، بينما يحدد آخرون بأن الفلاحة تعود إلى عهد عريق في القدم قبل الاستيطان الفينيقي²، وقد تصل إلى غاية فترات العصر الحجري الحديث (النيوليثي المتأخر)³.

لا يمكن دراسة هذه الإشكالية إلا بالاستناد إلى المعطيات الأثرية والتي قد تحمل دلائل وبراهين أو أدنى العلامات حول قدم الزراعة في المنطقة، إذا لا يمكن التأكيد على وجود نشاط فلاحي حقيقي إلا بدلائل واضحة مثل اكتشاف بذور ومزروعات⁴ أو له صلة بذلك مثل الأدوات الحجرية.

ولهذا الغرض قام غابريال كامبس بدراسة وفحص مختلف المعطيات الأثرية المتوفرة كالكويرات الحجرية، المناجل، المطاحن، المطارق، الفؤوس والرسومات والألواح الصخرية إلى آخره، ويرى في صناعة الأدوات دليلا على بدايات العمل الزراعي وأن ذلك يعود إلى الأزمنة القفصية، لكن استعمالها لا يزال محل نقاش ونذكر منها الكويرات الحجرية المثقوبة وهي ذات وظائف متعددة، إلا أن هذه الأداة تبقى الأمر مجرد تخمين لكونها لا تقدم أي دليل يسمح بتأكيد وجود الزراعة في الفترة القفصية بل وحتى النيوليتية⁵.

1 ستيفان غزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم: الممالك الوطنية نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ج5، ترجمة محمد التازي سعود، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص151.

2 نفسه، ص160.

3 Despois (J.), La culture en terrasses dans l'Afrique du Nord, in : E.S.C, 11ème année, N°1, 1956, p.p 49-50.

4 غابريال كامبس، في أصول البربر: ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب و تحقيق محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص88.

5 نفسه، ص.ص81-83.

أما المناجل فقد اعتمد عليها كدليل على وجود الزراعة قبل التاريخية باعتبارها أداة فلاحية وقد اكتُشف العديد منها في شمال إفريقيا أولها في مغارة البوليقون (وهران) في الطبقة النيوليثية، إلا أن كامبس لم يفتنع بفائدة هذه المناجل في الزراعة بحيث لا يجدي استعمالها في الحصاد أو جني نباتات غير مزروعة قد تكون داخل منطقته التنوع البيئي، وهي أداة سريعة تعوض فقط اليد¹.

تم اكتشاف أدوات كالمطاحن، المطارق والفؤوس في عدة مواقع ما قبل التاريخية المتعلقة بالفترة النيوليثية مناسبة لطحن الحبوب، وشكلها الصغير يجعلها لا توفي بشروط استعمالها في هذا العمل عكس المستعملة في الصحراء والتي تشبه لحد كبير المطاحن المستعملة حالياً، رغم ذلك هذه الأدوات لا توفر الدليل الكافي والواضح على وجود فلاحية قبل تاريخية وليس بالضرورة أن تكون تلك البذور المسحوقة بذورا مزروعة.

أما الوثائق الأثرية والمتمثلة في الرسومات والألواح الصخرية فتظهر لنا أن السكان القفصيين ثم النيوليثيين قد مارسوا القطف لكن بدون وجود دليل قائم على أنهم زاولوا فعلا النشاط الفلاحي، إلا أن وثائق أخرى من نفس النوع تنم على وجود فلاحية بروتو-تاريخية (فجر تاريخية) ولا يعود الفضل لها لقرطاج بتاتا، وهي الفترة التي بدأت فيها الفلاحية تنتظم في شمال إفريقيا².

إن هذه الأبحاث توضح لنا عدم وجود دليل مادي متكامل أو يحمل صفات واضحة لوجود الفلاحية ما قبل التاريخية، فلا المناجل المكتشفة في مختلف المناطق ولا الكرات المثقوبة ولا المددقات ولا أدوات الحصاد تصلح أن تكون حجة تثبت وجود الفلاحية حسب المؤرخة ديزانج جيهان³، ويبدو أن الآراء اتجهت لحصر بداية الزراعة إلى ما بين نهاية

¹ غابريال كامبس، المرجع السابق، ص.ص 87-88.

² نفسه، ص 93.

³ ديزانج جيهان وك.جي زربو، تاريخ إفريقيا العام، مج 1، إشراف جمال مختار، جين أفريك/اليونسكو، تورينو، 1983، ص 588.

النيوليثي إلى قدوم البحارة السوريين (الفينيقيين)، ويظهر أنه الأكثر اعتدالا¹.

وتظهر لنا رسومات أوكايمدن (Okaimeden) جنوبي مراكش والتي نشرها الباحث مالوم (Malhomme) عدة أدوات تمثلت في مجموعة من الفؤوس، الخناجر، السهام والبلاطات طويلة المقبض بالإضافة إلى مشهد حرث في أعزيب'ن'ايكيس (Azib n'ikkis) الواقع في مرتفعات الأطلس المغربي (الشكل 1 ص 6) الذي يصور ثورين ببعض التفاصيل كقرونها والخطوط التي تلون ظهريهما ويجران محراثا وأمامه فلاح ينحني لجهته بحيث لا يظهر منه إلا الصدر والرأس، وقد قارن كامبس هذه الرسومات بنظيراتها الموجودة في جبل بيكو (Bégot) الواقع بين الحدود الفرنسية الإيطالية بحيث تعود هذه الأدوات إلى العصر البرونزي مؤكدا التشابه الكبير للموقعين نظرا للصور الموجودة لذات الأسلحة رغم المسافة البعيدة بين هاتين الحضارتين².

لا ريب أن الدلائل حول قدم الزراعة بعد فترة فجر التاريخ كانت أوضح وأكثر حملا للبراهين نظرا للجدل الكبير حول النظرية التي تعتبر الفينيقيين أول من قدم الزراعة في شمال إفريقيا فكثرة آراء المؤرخين واختلاف اتجاهاتهم في هذه الفترة خصيصا يؤكد ذلك. فالمؤرخين القدماء انطلقا من نصوصهم لم يذكروا مزاولة سكان شمال إفريقيا (الليبيين) للزراعة ولم يمارسوها وكانت فقط ضمن المجال القرطاجي³.

فقد أكد هيرودوت (Hérodote) بأن "القبائل القاطنة ما بين مصر إلى غاية بحيرة التريتون (Lac Triton) جنوب تونس، كانت قبائل بدوية تعتبر اللحم وشرب اللبن غذاء لها"⁴، وأبيان (Appien) يؤكد أن النوميديين كانوا يستهلكون النباتات البرية ويجهلون

¹خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في أفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة2، الجزائر، 2012-2013، ص17.

² غابريال كامبس، المرجع السابق، ص.ص94-95.

³ خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص18.

⁴Hérodote, Histoire, T.I, Traduit par Larcher, Charpentier/Libraire-éditeur, Paris, 1850, IV, CLXXXVI.

الزراعة¹، في حين بوليبي (Polybe) يذكر أن الأغلبية كانوا يجهلون الثمار التي تُنتج من زراعة الأرض ولا يعيشون إلا على لحوم الحيوانات².

تمسك الباحثون لمدته طويلة بنظرية عدم وجود زراعة لدى سكان شمال إفريقيا خارج النطاق الفينيقي ثم القرطاجي استناداً لهذه النصوص رغم أنها لا تحمل دلائل وبراهين واضحة وكافية لإصدار مثل هذه الأحكام³، فالبحوث الحديثة تظهر بشكل واضح تطور الآراء وتجاوز مجال النصوص القديمة، حيث يؤكد ستيفان غزال أن الزراعة في بلاد البربر دخلت في القدم قبل الاستيطان الفينيقي وانتشرت بالقطر التونسي قبل السيطرة القرطاجية وبلغت زراعة الحبوب الصحراء⁴ وبنفس الاتجاه يؤكد المؤرخ راينر (L.Reynier) أنه عندما تأسست مدينة قرطاج كانت هناك مستعمرة فينيقية أخرى في المنطقة، دليل على أن الزراعة سبقت وصولهم، والبرهان هو بنية المؤسسات التي سميت بالليبي-فينيقية (Lybo-phéniciens) ويؤكد أن لولا عدم وجود مزارعين ليبيين عندما قدم الفينيقيين لما قاموا بمؤسساتهم الزراعية دون الاتحاد مع المحليين⁵، إلا أن المؤرخ فريديريك لacroix (F.) كان له رأي مخالف حيث يرى أن استنتاج "راينر" ليس دقيقاً أخذاً أقوال المؤرخين والجغرافيين القدماء في الفترة القرطاجية ليعارض الفكرة، ويرى أن هذا الوافد هو من قدم الزراعة للسكان المحليين⁶. وهذا ما عارضته الأبحاث والاكتشافات الأثرية التي سبق ذكرها سابقاً خاصة الرسومات الصخرية من بينها مشهد الحرث (الشكل 1 ص 6) الذي يعود إلى ما قبل الوجود الفينيقي. فهذه الدلائل أظهرت لنا مدى قدم النشاط الزراعي في إفريقيا القديمة.

¹Appien, Punic, 106. D'après Lacroix (F.), Afrique Ancienne (procédés agricoles), R.Af, 1870, p15.

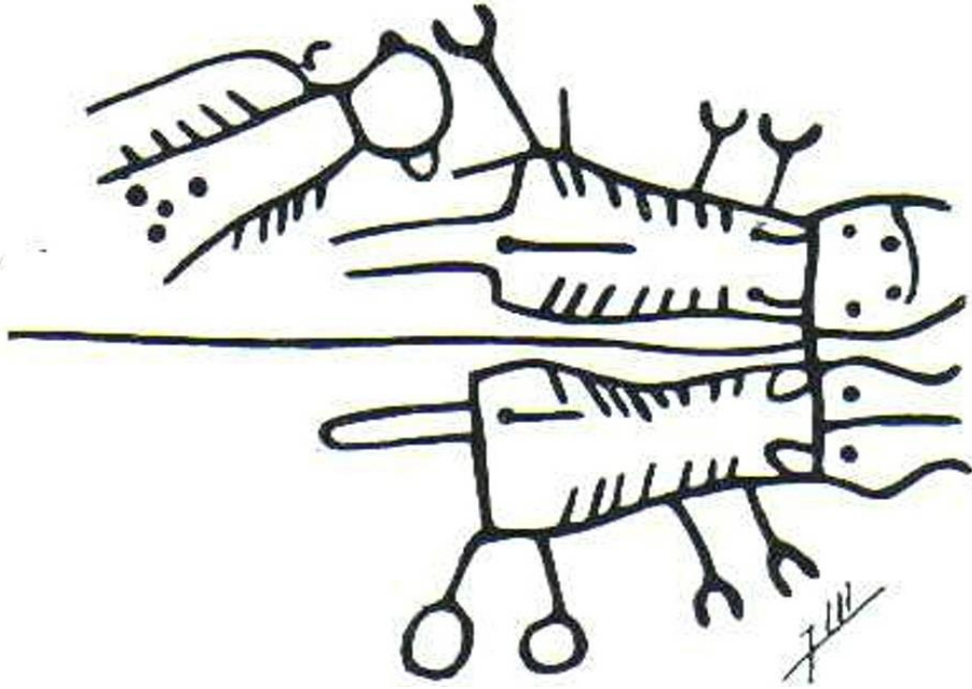
²Polybe, Histoire Générale, Traduit par H.Félix Bouchot, Charpentier/Libraire-éditeur, Paris, 1847, XII, I.

³ خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص18.

⁴ ستيفان غزال، المرجع السابق، ج5، ص160.

⁵Reynier(L.), De l'Économie publique et rurale des Egyptiens et des Carthaginois, J.J.Paschoud, imprimeur-libraire, Genève-Paris, 1823, p.481.

⁶ Lacroix (F.),... (procédés agricoles), op.cit., p13.



الشكل (01) : مشهد حرت، نقش صخري من أعزيبان ايكيس.
المصدر : غابريال كامبس، المرجع السابق، ص95.

II. الزراعة في العهد القرطاجي:

كان القرطاجيون يتمتعون بقوة تجارية وبحرية تجاوزت نطاق أراضيها ليصل إلى جميع سواحل البحر المتوسط، إلا أن هذا لم يجعلها تصرف الاهتمام عن النشاطات الاقتصادية الأخرى ولم يهملوا الزراعة، بحيث يرى لacroix) أنه يمكننا منطقيا أن نستنتج بأن المنتجات الزراعية كانت الأساس البدائي لثرواتهم الخاصة نهاية حقبتهم، فكفأتهم في عمل الحقول شهد عليها عدة مؤرخين على غرار بوليب¹، ويرى راينر أنه من المؤكد أن الزراعة في قرطاج كانت تابعة للتجارة².

وجدت قرطاج مضيفيهم الليبيين مرتبطين بالأرض وخدمتها، فقبل القرن الخامس ق.م كان الفلاحون المحليين يشغلون كل الأراضي المحيطة بقرطاج منها شبه جزيرة رأس بون

¹Lacroix (F.), ... (procédés agricoles), op.cit., p13.

²Reynier (L.), op.cit., p479.

(كاب كاربون أو الوطن القبلي)¹، والتي وصفها بوليب بالغنية بالأبقار، الماعز والأغنام²، ولاطالما زود الفلاحون الليبيين قرطاج بما تحتاجه من إنتاج فلاحي وضرائب، فكثافة العمران من قرى ومشاتي تدل على نمو ديموغرافي وعلى ازدهار اقتصاد زراعي كافي لتزويد أغنى مدينة في المنطقة³.

وبعد القرن الخامس ق.م غير القرطاجيين من سياستهم الاقتصادية خاصة بعد معركة هيميرا (Himère) سنة 480 ق.م أين كانت المنعرج الذي أطلق العنان للنهضة القرطاجية، حيث فتحت مجالات اقتصادية جديدة خاصة الأنشطة الزراعية⁴، وهذا ما أكده موسكاتي (Muscattii) حين قال أن قرطاج كانت تهدف لإعطاء اهتمام أكثر مما سبق لأراضيها الخاصة، فأهم خطوة اتخذها القرطاجيون في هذه المرحلة هو تطوير الزراعة وتوسيع مجال المبادلات التجارية و كذا ملاحظتها التي شملت مناطق واسعة خاصة في البحر الأبيض المتوسط وذلك عن طريق عدة رحلات استكشافية مرحلة هاميلكون وحنون⁵.

قامت قرطاج بتوجيه أنظارها إلى أراضي المحليين (الأهالي) واستحوذت على بعض الأراضي في شمال شرق تونس الحالية أين قامت زراعة نشيطة في المنطقة⁶، وذكر ديودور الصقلي (Diodor de Sicile) كيف وقف أغاثوكليس (Agathocle) مدهوشا من الازدهار الزراعي الذي ساد قرطاج والذي تمثل في زراعة الكروم، الزيتون والبساتين، بالإضافة إلى مراعي واسعة تخللتها ثروة حيوانية من الماشية: خرفان، ثيران وخيول⁷.

¹ محمد العربي عقون، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الأفريقي القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص71.

² Polybe, Histoire Romaine, Traduit par Denis Roussel, Edition Gallimard, Paris, 1970, I, 71, I 61, حسب عقون م.ع.، المرجع نفسه، ص61، I, 71.

³ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص61.

⁴ محمد البشر شنييتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة 146 ق.م/ 40 م، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص100.

⁵ Moscati (S.), The Phoenician, I.B. Tauris, 2001. p60.

⁶ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص.ص87-88.

⁷ Diodor de Sicile, Bibliothèque Historique, Traduit par Ferd Hoefler, T.III, 2^e édition, Librairie la Hachette, Paris, 1865, XX, VII.

فازدهار الزراعة في أراضي قرطاجة والمدن البونية الأخرى اعتمد فيها على أسس قوية بحيث طورت تقنيات الإنتاج وأساليب الزراعة كما كانت واضحة في كتاب ماغون (Magon) عن الزراعة¹، والذي حمل 32 جزءًا يتضمن نصائح زراعية وتربية المواشي وكذا قواعد دقيقة حول إدارة الأملاك الريفية².

إن ضبط وضعية الأملاك في المناطق الإفريقية الواقعية تحت النطاق القرطاجي تعتبر مهمة صعبة، لكن لا ريب بأن الطبقة الأرستقراطية تحتكر الجزء الأكبر من هذه الأراضي والتي يعتبر بعض منها لليبيين بعدما تم سلبها منهم، و كانوا يخدمونها بأنفسهم كعمال مسخرين أو كأجراء يوميين أو كرقيق، أما الطبقة النبيلة كانت ساهرة على إحياء الأراضي التي تمارس فيها الزراعة الشجرية من زيتون، تين، لوز، رمان وكروم، بالإضافة لتربية المواشي، في حين كان الأهالي أو المحليين يزرعون الحبوب باستعمال أدوات كالمحراث وآلات الدرس المتنوعة³، مع إجبارية دفع ربع المحاصيل الزراعية كضرائب للدولة القرطاجية⁴.

فهذه السياسة جعلت قرطاج تشتهر بالزراعات الشجرية وساعدها على ذلك الخصائص المناخية للمنطقة حيث كان انتشار أشجار الزيتون مرتبط بالتأثير البوني خاصة الإسم الذي أطلق عليها من طرفهم، وتنتشر زراعة هذه الشجرة بشكل واسع جنوب قرطاجة وجزيرة قرقنة (Kerkennah)⁵ بالإضافة إلى ازدهار زراعة الكروم حول قرطاجة وغربها⁶، وما لا شك فيه أن حسب هؤلاء المؤرخين الزراعة الشجرية حققت تطورًا وتقدمًا واسعًا في قرطاج، أما بالنسبة للحبوب وتربية المواشي لم يلقى هذا النوع من الإنتاج نفس الاهتمام مثل الزراعة

¹ رستفنزف ميكائيل، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج1، ترجمة و مراجعة زكي علي و محمد سليم سالم، النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص29.

² شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط5، تونس، 1983، ص112.

³ نفسه، ص.ص112-113.

⁴ محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص103.

⁵ Hérodote, IV, CXC.

⁶ Diodor de Sicile, Histoire Universelle, Traduit par Abbé Terrasson, imprimerie de Quillau, Paris, 1737, XX, I, 75241، ص. المرجع السابق، حسب خنيش عبد الفتاح،

الشجرية، فالبرغم من ذلك كانت الأرياف هي من تنتج القمح والشعير بكميات ليست بالكبيرة لتزويد المدن الفينيقية الأخرى باحتياجاتها¹.

والملاحظ أن الزراعة القرطاجية كانت تُسَيَّر وفق آليات وأساليب متطورة ومتقدمة وبطريقة علمية، فلو كان العكس لما كلفت الجمهورية الرومانية وبعدها الإمبراطورية نفسها عناء ترجمة كتاب ماغون الزراعي(*).

III. تطور الزراعة في العهد النوميدي:

كان المؤرخون القدامى مجحفين في وصف الزراعة في نوميديا قبل ماسينييسا أين نكرت نصوصها وجود النشاط الزراعي في المنطقة واقتصارها فقط على الحياة الرعوية حيث يذكر بوليب (Polybe) في نصه " أن الأغلبية يجهلون فن زراعة الأرض ويعيشون على لحوم الحيوانات"²، وأبيان (Appien) يؤكد هذه المقولة حيث قال " أن النوميديين قديما يقتاتون على النباتات ويجهلون الزراعة"³، في حين سالوست (Salluste) يخبرنا بأن "النوميد كانوا يفضلون أكثر ترك أراضيهم لتكون مراعي لماشيتهم بدل زراعتها"⁴.

والملاحظ من هذا أنه كان نشاط رعوي وترحال فقط قبل النهضة الزراعية النوميديية وهؤلاء المؤرخين ربما لم يطرحوا السؤال عن ماهية السبب الذي جعل النوميديين يصرفون النظر على المجال الزراعي عكس ما كان في الجانب الرعوي، والفرضيات الحديثة ترجح أن السبب راجع إلى قلة التكلفة في تربية المواشي واحتياج الزراعة لمجهودات وأعمال شاقة في خدمة الأرض وتعاطي الزراعة، بالإضافة إلى صعوبة حماية المزروعات والمنتجات من

¹ Reynier, op.cit. p485.

(*) بعدما كان الكتاب الأصلي بـ 32 جزءًا تم ترجمته من طرف ديسيموس يونيوس سيلانوس (Decimus Junius Silanus) ليصبح 20 جزءًا منه، ولخصه ديوفان (Diaphanes de Nicée) لستة أجزاء، وأخيرًا أسينوس يوليوس (Asinius Pollio) الذي ضاعف عمل هذا الأخير في الفترة الإمبراطورية، انظر:

- Reynier, op.cit., p.477-478.

² Polybe, H.G, XII, 1.

³ Appien, X, D'après Lacroix (F), op.cit., p15.

⁴ Salluste, la guerre de Jugurtha, les fragments de la grande histoire romaine, la conjuration de Catilina et les deux épître a César, Traduit par Charles Du. Rozoir, T.I, imprimerie de C.L.F.Panckoucke, Paris, 1835, XC. 44 حسب خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص44

النهب والسرقة وضياع مجهودات طويلة في وقت قصير، وهذا ليس بسبب كسل أو إهمال أو عدم فقههم في عالم الزراعة¹.

فبعد أن كانت نوميديا غير نافعة وقادرة على تقديم أي منتوجات مزروعة حسب بوليب²، نجح ماسينيوس خلال القرن الثاني ق.م بتغيير سياسة المملكة الاقتصادية لاسيما في الجانب الزراعي، وقام بتغيير نظرة وطريقة تفكير شعبه اجتماعيا واقتصاديا أين أكد ذلك سترابون (Strabo) في نصه حينما قال "أن ماسينيوس حول النوميديين إلى مزارعين واجتماعيين وقام بتمدينهم وتحضيرهم على الحياة الزراعية"³.

ونرى من هذا أنه نجح بتغيير عاداتهم القديمة والبدائية وتخليصهم من حياه الفقر والعزلة الاجتماعية ليصنع مملكة ذات أسس قوية، فيرجح أن هذه السياسة التي اتخذها ماسينيوس كانت تهدف لتحسين دخل مملكته من الضرائب من طرف المستقرين لا القبائل المتنقلة لصعوبة إحصائها⁴.

قام ماسينيوس بتشجيع شعبه على استصلاح الأراضي البور غير الصالحة للزراعة خارج النطاق الجغرافي لماسيليا، وذلك بعد التوسعات التي قام بها في الأقاليم المجاورة انطلاقا من ماسيسيليا شرقا إلى المنطقة القرطاجية غربا (الخريطة 1 ص 11)، حيث استرجع أراضي شاسعة ذات جودة لزراعة القمح وكذا السهول الكبرى التي تضم إقليم الأمبوريا وذلك حوالي 152 ق.م، وهذا التوسع ضمن لمملكة ماسينيوس فائضا في الإنتاج⁵، وهذه المنتوجات حصلت على ثناء المؤرخين ومنهم سترابون الذي وصف ارتفاع السنابل بخمسه اذرع(*) وأن الأرض تنتج مرتين والبنور التي سقطت في مرحلة الحصاد تنتج محاصيل وفيرة في

1 أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، 1969، ص58.

2 Polybe, H.G, XXXIII, III.

3 Strabo, Geographie, Traduit par Amédée Tardieu, Librairie de la Hachette, Paris, 1867, XVII, III, 15.

4 خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص46.

5 غابريال كامبس، المرجع السابق، صص253-254.

(*) تعادل مترين.

الصيف¹، فصححة هذه المعلومات التي قدمها سترابون حسب شارل أندري جوليان مبالغ فيها وغير صحيحة تمام الصحة²، لكن هذه المبالغة تعتبر دليل على جودة المحاصيل و المنتوجات الزراعية النوميديّة في عهد ماسينييسا.



الخريطة (01): حدود إقليم المملكة النوميديّة خلال فترة حكم ماسينييسا.

المصدر: <https://amezruyimizighen.wixsite.com>

وهذا التطور في الإنتاج جعل المملكة تتحول إلى قطب ووجهة رئيسية للتجار وأهم ممول لروما بالقمح والشعير حيث بلغ إجمالي الكمية ما بين 200 ق.م و170 ق.م حوالي 154,000 قنطارا من القمح و 39,400 قنطارا من الشعير موجهة وموزعة على كل من روما وجيشها إلى جانب اليونان ومقدونيا، والنتيجة هي أن تصدير القمح كان المصدر الرئيسي للدخل في المملكة النوميديّة وأن روما واليونان كانا الزبون الأول لماسينييسا³.

¹ Strabo, XVII, III, 11.

² شارل أندري جوليان, المرجع السابق، ص132.

³ غابرييل كامبس، المرجع السابق، ص.ص242-243.

وما لا شك فيه أن هذه القفزة الاقتصادية والانفتاح على الأسواق الخارجية راجع لذكاء هذا الملك وبراعته في المجال الزراعي، حيث أكد ديودور الصقلي: "أنه برع في الأعمال الزراعية إلى حد أنه ترك لكل واحد من أبنائه أرضا سعتها 10,000 بلاطير من الأراضي الصالحة للزراعة مزودة بالأدوات الضرورية لاستغلالها¹.

بعد وفاة ماسينيسا سنة 148 ق.م لم يتوقف الاهتمام بالزراعة في نوميديا حيث تابع سياسته ابنه الأكبر ميكيبسا (Micipsa) في النهوض بمرافق البلاد الاقتصادية ونجح بإنشاء علاقات تجارية نشيطة مع إيطاليا وباقي عالم البحر الأبيض المتوسط²، وكانت كذلك الزراعة مزدهرة في عهد يوغرطة ويوبا الأول في جزء كبير من نوميديا قبل أن يتم احتلالها من طرف الرومان³.

أما بخصوص نظام الملكية الزراعية في نوميديا فيبقى غامضا لتعذر وجود نصوص حول الموضوع، فالتشريعات القرطاجية والرومانية لا تمدنا بإفادة حتى أساليب الإنتاج والتخزين تبقى فقط مجرد تلميحات وفرضيات هشة والتي تسمح لنا فقط بقول أنه توجد أراضي ملكيتها تابعة للقصر وأخرى للأمرء وكذا المعابد إضافة إلى الملكيات الفردية الخاصة⁴.

إن الأدوات الزراعية المستعملة في نوميديا عريقة يعود أصلها إلى ما قبل الفينيقيين، فقد استخدم السكان المحليين المجرفة (Houe) كأول أداة قبل المحراث، كما استخدموا المعول (Pioche) و أنواع من المعازيق المحلية (Binette)، أما المحراث فقد أجمعت مختلف الدراسات على وجود محراث محلي (شكل 2 و 3 ص 16) لا يد فيه للوافدين الفينيقي والروماني⁵، ولوحظ استعماله من طرف المحليين في مدينة شرشال خلال عملية الحرث،

¹Diodor, B.H, XXXIII, III.

² ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان (من أقدم العصور حتى عام 133 ق.م)، ج1، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978، ص.ص340-341.

³ ستيفان غزال، المرجع السابق، ج5، ص163.

⁴ محمد الهادي حارث، مملكة نوميديا (دراسة حضارية، من أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م)، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2013، ص.ص136-137.

⁵ محمد الهادي حارث، مملكة نوميديا...، المرجع السابق، ص140.

ويبدو شديد التشابه مع نظيره المحراث الروماني (شكل 14 ص 53)، بحيث ركبت وصممت أجزائه بنفس الطريقة تقريبا مع وجود تفاصيل مختلفة تميزهما¹.

هذا من جانب الوسائل المستعملة للإنتاج ولزراعة، أما المنتجات الزراعية فلا شك أن الحبوب التي تضم القمح والشعير² تحتل المكانة الرئيسية في الإنتاج النباتي، وذلك لا يعني إهمالهم للمنتجات الأخرى مثل: الفول، الحمص، العدس والجلبان³، كما ذكرت المصادر القديمة عن إنتاج وفير من الفواكه مثل: التين، العنب، اللوز والتمور، إضافة إلى دخول النباتات البرية في النظام الغذائي للنوميديين منذ القدم كالزفيزف البري (Jujubier) والخرشوف (L'artichaut)⁴.

أما الرعي الذي يعتبر قبل نهضة ماسينييسا الجزء الرئيسي للنمط المعيشي للنوميدي، لم يقضي عليه التوسع الزراعي الذي عرفتة المملكة بداية القرن الثاني ق.م، بل كان هناك استقرار للحياة الرعوية ولم يقلعوا عن ممارستها، والتفسير هو أن الزراعة الراجحة في شمال إفريقيا هي زراعة الحبوب والتي لا تتطلب إلا فترتين من العمل في السنة، هي فترة الحرث المتبوعة بالبذر وفترة الحصاد المتبوعة بعملية الدرس، ما يُمكن الفلاح من مزاولة النشاط الزراعي والرعوي معا⁵.

فكل هذه القفزة الاقتصادية بداية من النهضة الزراعية لماسينييسا إلى غاية آخر ملوك نوميديا المستقلة يوبا الأول، جعلها ذات قيمة بين الدول والأقاليم المجاورة وحتى ما بين تلك ما وراء البحر (روما و اليونان)، حيث أصبحت أهم مصدر للقمح خاصة لإيطاليا، ما جعل نوميديا تحقق ثراء اقتصادي بعدما كانت تنعزل في حياة الرعي والترحال، قبل أن تنهيا كل

¹ Bérard Jean. Mosaïques inédites de Cherchel. In : M.A.H, tome 52, 1935, p.p133-134.

² غابريال كامبس، المرجع السابق، ص102.

³ نفسه، ص105.

⁴ Lacroix (F.), Afrique Ancienne (produits végétaux), R.Af., Volume13, 1869, p.p69-70.

⁵ محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا...، المرجع السابق، ص153؛ فرغم تقلص مساحات الرعي على حساب توسع الأراضي الزراعية إلا أن الأراضي التي لا تصلح للزراعة كانت مستغلة للرعي، وهذا ما يؤكد رابنر حين قال: "أينما كانت التربة مستعصية على ممارسة الزراعة حلّ مكانها الرعي". انظر:

-Reynier, op.cit., p483.

السبب للاحتلال الروماني لبسط هي الأخرى ثورتها الزراعية بأساليبها الخاصة في شمال إفريقيا مستفيدين من قاعدة مهياة من المحليين والقرطاجيين المتمكنين في المجال الزراعي سلفاً.

IV. دور فترة ما قبل الاحتلال الروماني في تهيئة القاعدة الفلاحية خلال الفترة الرومانية:

بعد نهاية الاحتكار القرطاجي لاقتصاد شمال إفريقيا بسقوطها سنة 146 ق.م، بدأت السياسة التوسعية الرومانية في الأراضي الإفريقية وفتحوا المجال لاستيطانها بداية بقرطاج ثم المدن الأخرى كأوتيكا وحضرموت، لتبصم على أولى الخطوات بتوزيع هذه الأراضي على الرأسماليين أثرياء الرومان شريطة دفع الضرائب و ذلك بعد سن أول قانون زراعي سنة 111 ق.م في فترة حكم غايوس غراكوس (Gaius Gracchus) لتقديم صبغة قانونية لامتلاك الأراضي، هو القانون الذي ضمن لهم الاستحواذ على هذه الضياع الشائعة بإفريقيا^(*). وفي سنة 46 ق.م أواخر العهد الجمهوري تم ضم نوميديا لتشكل إفريقيا البروقنصلية (Proconsulaire) الجديدة لتصبح سيرتا أحد المراكز المفضلة لرجال الأعمال الرومان¹، ليطلق أغسطس (August) بعد ذلك عهداً جديداً في العالم الروماني بتغييره نظام الحكم الجمهوري إلى النظام الإمبراطوري سنة 27 ق.م، الفترة التي ازداد فيها التوسع الروماني في الأراضي الإفريقية بإقامة عدة مستوطنات إضافة إلى ضم موريتانيا في الفترة اليوليوكلاودية (Julio-Claudiens) سنة 44 بعد الميلاد².

ساعدت القاعدة الزراعية المحلية سياسة روما الزراعية في إفريقيا سواء بخبرات المحليين والقرطاجيين الذين مارسوا الزراعة قبلهم أو بالمعارف العلمية خاصة الكتب

(*) والتي بلغت نصف إفريقيا من الأراضي لسنة مائة مائة فقط حسب بلين (Pline)، انظر: Pline L'ancien, Histoire Naturelle, édition d'Emile Littré, Dubochet, Paris, 1840-1850, XVIII, VII, 3.

¹ رستفنزف (م)، المرجع السابق، ص.ص 384-385.
² نفسه، ص 389.

الزراعية القرطاجية وأشهرها كتاب ماغون (Magon) الذي رأى فيه الرومان ضرورة لترجمته¹ للاستفادة من نصائحه وطرقه في الفلاحة، وهذا دليل على أهميته.

الخصائص الطبيعية للشمال الإفريقي وكذا طبيعة أرضها الخصبة وتنوع المحاصيل، جعلت الزراعة القرطاجية مشهورة رغم تصدر التجارة والملاحة أولوياتهم، نفس الأرض ستكون عاملا أساسيا لروما في ازدهار وتطور الزراعة الرومانية في إفريقيا².

كما ساهمت نوميديا هي الأخرى هذه السياسة الفلاحية حيث تكشف المقارنة بين سياسة ماسينييسا الزراعية ونظيرتها الرومانية عن وجود تطابق في التعامل مع القبائل البدوية المرتحلة، بحيث يشير كلاهما إلى أنها عامل معيق لعملية التوسع و التطور الزراعي، لهذا عملا على تغيير عادة هؤلاء البدو بتشجيعهم على الاستقرار الزراعي، وهذا يوحي باستنساخ الرومان للتجربة أو على الأقل الاستفادة منها، فتأثير ماسينييسا على سياستهم المنتهجة واضح³.

إذا لا شك بأن الفترة التي سبقت الاحتلال الروماني كانت عاملا أساسيا في النهضة الزراعية في شمال إفريقيا، خاصة تلك التهيئة التاريخية بين الفترة النيوليثية والفترة الرومانية التي مهدت الطريق لهذا الأخير إلى توسيع الزراعة وتحقيق استقرارها⁴، وبالتالي إصلاح أوضاعها الاقتصادية المتدهورة في روما بخيرات بلاد المغرب القديم⁵.

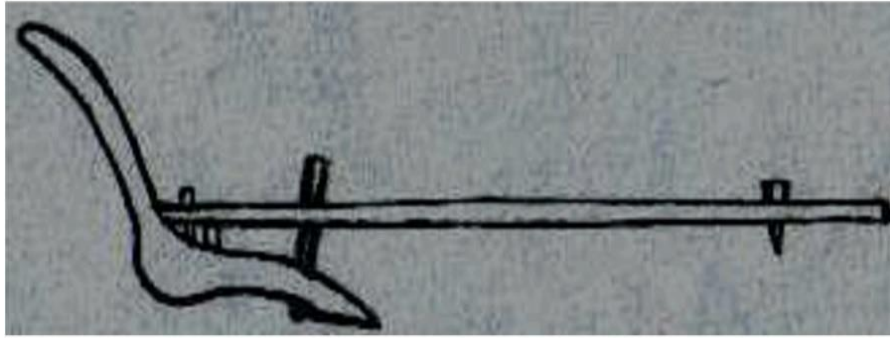
1 انظر أعلاه ص9.

2 خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص55.

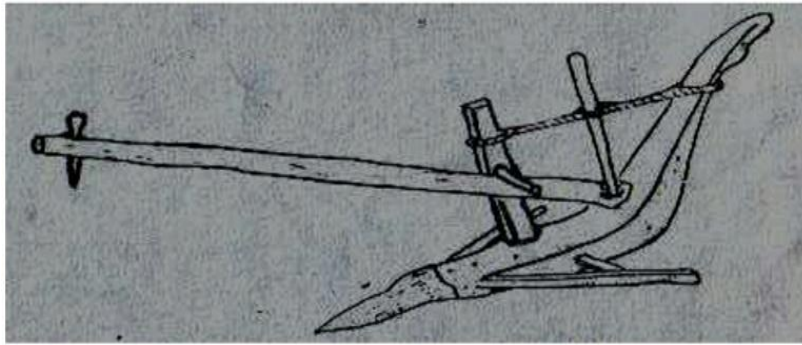
3 نفسه، ص57.

⁴Leveau (Philippe), Occupation du sol, Géo systèmes et systèmes sociaux, Rome et ses ennemis des montagnes et du désert dans le Maghreb antique, in : E.S.C,41^{ème} Année, N °6,1986 ,p1355.

⁵محمد الصالح العود، آليات السيطرة الرومانية على الأراضي الزراعية في بلاد المغرب القديم، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد 5، العدد 1، الجزائر، 2021، ص96.



الشكل (2): محراث من المنطقة الأوراسية.
المرجع: غابريال كامبس، المرجع السابق، ص107.



الشكل (3): محراث من منطقة الريف.
المرجع: غابريال كامبس، المرجع السابق، ص109.

الفصل الثاني: التخطيط الزراعي وإصباغ الطابع القانوني على الأرض

أ. القوانين والتشريعات الفلاحية

1. النصوص الأثرية والقانونية
2. قانون مانكيانا وهادريانا
3. تشريعات الري حسب نقيشة لاماصبا

ب. تنظيم واستغلال الأرض

1. نظام المسح وكنطرة الأرض
2. المستثمرات والوحدات الإنتاجية
3. نظام استغلال وتسيير المستثمرات الزراعية

ج. الضرائب الزراعية

1. ضريبة الأرض المستغلة
2. ضريبة الإنتاج

بعد أن أصبحت الأراضي الإفريقية تحت حكم الإمبراطورية الرومانية شرعت في استغلال هذه المساحات وتطبيق سياستها الجديدة بوضع تخطيط ومجموعة من التشريعات لإصباغ هذه الأراضي بالطابع القانوني وإعطاء شرعية لاملاكها والاستفادة منها.

ويجدر الذكر أن القانون الروماني أخذ مكان أساسية في سياسات وتعاملات الإمبراطورية الرومانية وحتى قبل هذه الفترة خاصة في المجال الاقتصادي، فتركيبية هذه التشريعات ومحتواها المحرر بإحكام نال الكثير من الإشادة من المؤرخين والفقهاء بالقانون الروماني حين قال الفقيه الألماني فون أهرنج (Von Ahring): "أن روما فتحت العالم ثلاث مرات، المرة الأولى بجيشها، المرة الثانية بدينها والمرة الثالثة بقانونها... وهو خير ما أثمرته عقول الرومان وخير ما بقي للعصور الحديثة من مدنيتهم"¹.

فضرورة تنظيم الزراعة والأرض بإخضاعها لسلطة القانون عدّد من هذه التشريعات والقوانين حسب الحالة والظروف، فمنها التي تنظم ملكية الأراضي وعمليات الري ومنها من تنظم العملية الجبائية وعلاقات المزارعين بالأرض وملاكها².

أ. القوانين والتشريعات الفلاحية:

كشفت أعمال التنقيب من طرف علماء الآثار عن مجموعة من النصوص الأثرية بعدة مواقع في شمال إفريقيا، وهي عبارة عن مراسيم قانونية منقوشة على نصب حجرية، وكل مرسوم يتعلق بتنظيم وحدة إنتاج معينة³. وفيما يلي أهم هذه النصوص الأثرية المكتشفة المتعلقة بتنظيم الزراعة:

1. النصوص الأثرية والقانونية:

أ- نص هنشير ميتيش (Henchir Mettich):

1 صالح بن نبيلي فركوس، تاريخ النظم القانونية والاسلامية، دار العلوم، عنابة، 2014، ص104.
2 سميرة عطية، أثر التشريعات الرومانية على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب (146ق.م-429م)، أطروحة دكتوراة، العلوم الإنسانية والاجتماعية - تاريخ بلاد المغرب القديم، جامعة حمّه لخضر، الوادي، 2022-2023، ص165.
3 خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في أفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، المرجع السابق، ص75.

عثر على هذا النصب الحجري من طرف الملازم بولان (Boulane.L) في وادي مجردة (Medjerda) في تونس عام 1896، يحمل نقوشا من جوانبه الأربعة في شكله المستطيلي¹، ويحمل أيضا اسما محليا يدعى بماباليا سيقا (Mappalia Siga)²، ويرجع هذا النص إلى سنة 117م^(*)، و تتضمن هذه الوثيقة مجموعة من المواد ببنودها توضح كيفية استغلال الأرض وتنظيم الملكية، وهو بمثابة عقد تسيير استوحى من قانون مانكيانا الزراعي (Lex Manciana)³، فرغم وجود بعض الصعوبات في فهمه بسبب شكل أحرف الأبجدية اللاتينية وكذا إتلاف بعضها، إلا أنه تم التعرف على الكثير من محتواه بعدما ترجم النص من طرف توتان (Toutain) وكانيا (Cagna)⁴. (الشكل 4 ص 21).

ويمكن اقتطاف بعض البنود كما يلي⁵:

المادة الأولى: تضمنت تشريعات حول الأجانب في الفندس (Fundus)^(*)

البند الأول: يسمح للمقيمين خارج الفندس بامتلاك أراضي البور التي يستصلحونها.

البند الثاني: على المستفيدين من الأرض أن يدفعوا أقساط الإنتاج إلى وكلاء أو مسيري الفندس.

المادة الثانية:

البند الخامس: تسليم أقساط الإنتاج من جني الزيتون.

¹Toutain Jules. L'inscription d'Henchir-Mettich. Un nouveau document sur la propriété agricole dans l'Afrique romaine. In : C.R.A.I, t,11, 1^e partie, 1902, p31.

²Ibid., p45.

(*) لم يتفق على الفترة التي يرجع إليها هذا النصب، البعض رجح أنه تم نقشه في زمن تاراجان (98م-117م)، بينما آخرون يرجعونه إلى نهاية القرن الثاني في فترة حكم سيبتييموس سيفيريوس (193م-211م). انظر:

-Husawi, Salma Mohammed, « AGRICULTURAL LEGISLATION AND ITS IMPACT ON ECONOMIC CONDITIONS IN AFRICA DURING THE ROMAN ERA 146 BC- 284 AD, » Journal of the General Union of Arab Archaeologists : Vol. 3 : Iss. 1, Article 7, 2018, p.p207-208.

³ محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر، 1984، ص75.

⁴Cagnat René. Inscription d'Henchir-Mettich. In : C.R.A.I, 41^e année, N. 2, 1897, p146.

⁵ محمد العربي عقون، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الأفريقي القديم، مرجع سابق، ص84..
(*) هو ملكية عقارية كبيرة، للمزيد انظر أدناه ص39.

البند السادس: دفع أفساط من إنتاج الأشجار المثمرة (الزيتون، الكروم...) حسب ما نصه قانون مانكيانا (Lex Manciana).

ب- نص نقش عين جمالة (Ain Djemala):

اكتشف هذا النقش سنة 1906 في وادي خلاد من طرف كاركوبينو (Carcopino.J) بالقرب من عين جمالة في تونس¹، وذكر نفس المؤرخ أن الوجه الثاني والثالث من أصل أربعة أوجه مليء بأجزاء من قانون هادريانا (Lex Hadriana)، ورغم وجود بعض الحروف اللاتينية المفقودة فقد تم تداركها واستخلاصها من نص نقش عين واصل²، تضمن هذا النصب عريضة مقدمة من طرف المزارعين يطلبون الإذن الرسمي بزراعة الأراضي غير المزروعة والمستنقعات، وحمل نفس النص جواب وكيل الإمبراطور (Procuratorum) الذي استجاب لطلبهم وفقا لقانون هادريانا الذي يسمح بذلك³، و بالمجمل احتوت نصوص هذا النقش قرار إمبراطوري مرفوقا بمجموعة من البنود تتعلق باستصلاح الأراضي وزراعتها حبوبا وهي تشريعات معدلة أو موسعة لقانون مانكيانا وأهمها فيما يلي:4

«أقر أن يقع الأمر بهذا:»

«قرار بالتنفيذ من وكيل الإمبراطور قيصر هادريانوس أغسطس (Caesar Hadrianus Augustus) بناء على أمر إمبراطورنا القاضي بفلاحة جميع الأراضي القادرة على الإنتاج سواء بالزيتون أو الكروم أو الحبوب فإننا نأمر بما يلي»

البند الأول: حق الحيازة

وفيها أعطى الإمبراطور السلطة للجميع باستغلال الأراضي الغير مكنترة والتابعة

للبراري (Saltus).

البند الثاني: حق التوريث

¹Carcopino Jérôme. L'inscription d'Aïn-el-Djemala. Contribution à l'histoire des saltus africains et du colonat partiaire. In : M.A.H, t, 26, 1906, p366.

²Carcopino (J.), op.cit., p.p367-368.

³Husawi, Salma (M.), op.cit., p202.

⁴ محمد البشير شنيطي، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص.ص81-82.

تضمن السماح للأشخاص الذين ملكوا الصنف السابق من الأراضي بتوريثها لخلفهم الذين يستوجب عليهم الخضوع للحالات المقررة في قانون هادريانا. واحتوى أيضا بنود حول الإعفاء من إتاة الإنتاج المتعلق بالأشجار المثمرة ومختلف المحاصيل¹.

PREMIÈRE FACE.

1. 2. 4 . [Ex auctorita]te || Aug. N. Im[p]. Caes. Trajani Aug. || [Op]timi
4. 3 Germanici Parthici || totiusqu[e] domus divinae. || Data a Licinio ||
5. 6 [Ma]ximo et Feliciore Aug. lib. procc. ad exemplu[m] || [leg]is
6. 7 Manciane. Qui eorum [u]ltra fundo Villae Mag[na]||e Variani id
7. 8 est Mappalia Siga, eis eos agros qui sull[bc]esiva sunt excolere
8. 9 permittitur lege Manciana, || ita ut eas qui excoluerit usum pro
9. 10 prium habe||at. Ex fructibus qui eo loco nati erunt dominis
10. 11, 12 au[t] || conductoribus vilicisve ejus f[undi] partes e lege Ma||nciana
12. 13 prestare debebunt hac condecione coloni : || fructus cujusque
13. 14 culture quota dare adpportare || et terere debebunt, summas
14. 15 [redd]ant arbitrato || [s]uo conductoribus vilicis[ve ej]us f[undi]; et
15. 16 si conduct[or]es vilicisve ejus f[undi] in assem icas da-
16. 17, 18 tur || et (?) renuntiaverint tabelli[s.]es cavea||nt ejus fruc-
18. 19 tus partes q[uas. prest]are debent, || conductores vilicisve
19. 20 ejus [f[undi]... col]oni colonic||as partes prestare debeant. Qui
20. 21 [i]n f[undo] Villae Mag||nae sive Mappalia Siga villas habent
21. 22 habebun[t], || dominicas ejus f[undi] aut conductoribus vilicisv[e]||
23. 24 eorum in assem partes fructum et vineam ex || consuetudine
24. 25 Manciane, cujusque gene||ris habet, prestare debebunt : tritici
25. 26, 27 exa||ream partem tertiam; hordei exaream || [pa]rtem tertiam;
27. 28 fabe exaream partem qu||[ar]tam; vinu de laco partem tertiam;
28. 29, 30 ole||[i] co]acti partem tertiam : mellis in alvell[is] mellaris sextarios
30 singulos. Qui supra||

الشكل (4): نص مترجم للواجهة الأولى لنقش هنشير ميتيش.
المصدر: Toutain (J.), op.cit., p.p32-33

ج- نص عين واصل (Ain Ouassel):

تم اكتشاف هذا النص من طرف الطبيب الدكتور كارتون (Dr. Carton) حوالي سنة 1891 بالقرب من منطقة عين واصل في تونس²، ويعرف أيضا هذا النقش بمرسوم البروكوراتور (Sermon Procuratorum) الذي تم تعريفه على انه قانون هادريانا (Lex Hadriana) حسب كولندو (Kolendo)³، وسبق أن عثر على أجزاء من هذا

¹ نفسه.

²Husawi, Salma (M.), op.cit., p208.

³Kolendo Jerzy. Sur la législation relative aux grands domaines de l'Afrique romaine. In : R.E.A. Tome 65, 1963, n°1-2, p, 97.

القانون في نقش عين جمالة السابق، وحمل أيضا نقش سوق الخميس فصلا من فصول قانون هادريانا¹، لذا من غير الصواب قول أنه يمثل بشكل كامل قانون هادريانا.

ويعود تاريخ مرسوم عين واصل إلى عهد الإمبراطور سيبتيموس سيفيريوس (Septimus Severius) (193م-211م) الذي تم تحريره سنة 210م من طرف وكلائه².

و تضمن ثلاثة أجزاء تحتوي على بنود متعلقة بحق الملكية (Jus Possidendi) والأقساط الضريبية^(*) (Partes Fructuum) وكذا الإعفاءات منها³. تم تقديم المرسوم بكلمات افتتاحية (ديباجة) من الإمبراطور سيبتيموس سيفيريوس تضمنت البنود المقتطفات الآتية⁴:

البند الأول: القانون يسمح لكل من يزرع الأراضي البور والأراضي غير المزروعة أكثر من 10 سنوات متتالية بحق امتلاكها.

البند الثالث: إذا غرس احد ملاك الأراضي (Possessores) زيتونا في أراضي البور (Saltus) لمدة 10 سنوات متتالية تعفى محاصيله من الضرائب في العشر سنوات الأولى.

د- نص نقش سوق الخميس (Souk El-Khemis):

اكتشف هذا النقش حوالي سنة 1880 عن طريق عالم الآثار شارل تيسو (Charles Tissot) في ولاية جندوبة منطقة سوق الخميس في الموقع الأثري بيلا ريجيا (Bulla Regia) في تونس، وتحتوي على أربعة أجزاء يحتوي كل منها على حوالي 32 سطرا، وجزء كبير من النقش تضرر بحيث تم فقدان كل الأسطر تقريبا من الجزء الأول وحوالي

¹Mispoulet (J.), « L'inscription D'aïn-Ouassel », Nouvelle revue historique de droit français et étranger, vol. 16,p117 ,1892

² محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية...، مرجع سابق، ص82

^(*)تم تناول مختلف الأقساط الضريبية في عنصر الضرائب الزراعية، انظر ادناه ص45

³ Carton (Dr.), la lex Hadriana et son commentaire par le procureur Patroclus , R.Ar., Paris, 1893, p8.

⁴ibid., p.p5-6.

الربع من الجزأين الثاني والرابع ويبقى الثالث الأحسن رغم إتلاف بعض الكلمات مما صَعَّب من عملية استقرائها وترجمتها¹.

ويعود تاريخ هذا النص إلى فترة ماريوس أوريريانوس (Marius Aurelianus) وفلاكوس كورنيليانوس (Cornelianus Flacus) اللذان حكما في الفترة الممتدة بين (174م-223م)²، حيث يتضمن فصل من فصول قانون هادريانا (Lex Hadriana)³، وتحتوي بنودا متعلقة بوضعية الكولون (Colon)^(*)، حيث أودع هذا الأخير طلب موجه إلى الإمبراطور حمل شكاوهم ضد مضايقات وانتهاكات الملتزمين (Conductors) وصغار الضباط لهم ومنهم أليوس ماكسيموس (Maximus Allius)⁴.

ي- نقوش أخرى:

وهذا بالإضافة إلى العديد من النقوش الأخرى التي اكتشفت في نفس فترة سابقاتها منها نقش جنان الزيتونة (Jenan-Ez-Zitouna) الذي تضمن التماس تقدم به المزارعون من السكان المحليين للسلطات العمومية الحصول على الإذن بزراعة الأراضي البور في التلال والأراضي المحيطة بالمستنقعات بالزيتون والكروم كما نص عليه قانون مانكيانا (Lex Manciana)⁵.

إلى جانب هذا النقش اكتشفت نقوش أخرى شمال إقليم المجردة (Medjerda) بين مدينتي جندوبة وباجة منها نقش عين زاغا (Ain Zaga) وقصر مزوار (Sidi

¹ Tissot Charles. Lettre à M. E. Desjardins sur la découverte d'un texte épigraphique. Table de Souk El-Khmis (Afrique). In : C.R.A.I, 24^e année, N. 1, 1880، p.p80-81.

²Husawi, Salma.M, op.cit. p208.

³Carton (Dr.), Réflexions sur les inscriptions d'Aïn-Ouassel et d'Henchir-Mettich, R.Af., Paris, 1890, p11.

(*) تمتلك كلمة كولون (Colon) عدة معاني، حيث أشار لأكروا إلى أنها تسمية عامة لكل المزارعين و جميع الملاك الريفيين الذين يزرعون أرضهم وهم من فئة الأحرار و ليس عبيد، كما يطلق نفس الاسم على كل من يزرع أراضي الغير، وتوجد فئة من الكولون ولدت في الأرض الزراعية أو الملكية وهي مرتبطة بها و العمل فيها، ويشكلون جزء من تلك الأراضي، للمزيد انظر:

- Lacroix (F.), Afrique Ancienne (procédés agricoles), op.cit., p.p26-27.

⁴ Tissot (C.), op.cit., p81.

⁵Saumagne Charles. Inscriptions de Jenan-ez-Zaytoûna. In : C.R.A.I, 81^e année, N. 4, 1937, p295.

(Mezouar) إضافة إلى نقش سيدي حميدة (Sidi Hamida) المكتشف في مدينة الفحص (El-Fahs) شمال شرق تونس، وأخيرا نقش لالة دريبلية (Lella Drebblia) في منطقة دوقة (Dougga) أغلبيتها تضررت مع بعض السطور التي بالكاد تظهر¹.



الخريطة (2): مواقع أهم النقوش المتعلقة بالزراعة في إفريقيا.

المصدر: Chérif Ali (et autres). Les grandes inscriptions agraires d'Afrique : nouvelles réflexions, nouvelle découverte. In : C.R.A.I, 162^e année, N. 3, 2018, p1425

ت- اكتشاف نقش حديث:

إلى جانب النقوش السابقة المكتشفة في فترة الاستعمار الفرنسي تم اكتشاف نقش حديث سنة 2013 عن طريق الدكتور شريف علي في منطقة الكريب (El-Krib) بالقرب من هنشير هنيش (Henchir Henich) (شكل 5 ص 25)، وحسب هذا الدكتور فإن هذا النقش يتضمن النسخة الأولى لقانون هادريانا (Lex Hadriana)²، وتوصلوا لهذه النتيجة عن طريق دراسة نصب حجري ذو أربعة أوجه، إضافة إلى نقوش على أحجار وأنصاب تمثل علامات حدود (Bornes-Limites) للحقول الزراعية تحمل التسمية اللاتينية

¹ Chérif Ali (et autres). Les grandes inscriptions agraires, op.cit., p.p1423-1426.

²ibid., p1423.

(Terminus Agrorum) و (Terminus Fundi) تسمح بالتنظيم الإقليمي للمنطقة (الكترة)¹.

ويتضمن نقش هنشير هنيش معلومات عن المباني التي يمكن تشييدها داخل الأراضي التي يشغلها المزارعون والكولون وكذلك المساحة المخصصة للماشية داخلها، وما زال النقش قيد الدراسة رغم تضرر الكثير من أجزائه².



الشكل (5): نقش هنشير هنيش المكتشف حديثاً.
المصدر:

Chérif Ali (et d'autres), « Archéologie des domaines impériaux », Mélanges de l'École française de Rome – Antiquité, n°133-2, 1^{er} janvier 2021, p.p457-486.

2. قانون مانكيانا وهادريانا:

تم التعرف على عدة مواد وبنود من خلال دراسة وتحليل بيانات المصادر الأثرية أعلاه التي تتمثل في مجموعة من النقوش والنصوص التي استوتحت عددا من البنود انطلاقا من قانوني مانكيانا وهادريانا (Lex Manciana, Lex Hadriana)، فالتشريعات

¹ توضع في نقاط التقاطع للخطوط التي انشأت على الأرض انطلاقا من نقطة مرجعية تشكل المحورين الرئيسيين المعروفين بالكارديو ماكسيموس (Cardo Maximus) و الديكومانوس ماكسيموس (Dicumanus Maximus)، انظر:

- Chérif Ali (et autres), Archéologie des domaines impériaux, op.cit., p.p 457-486.

²Ibid.

المذكورة والمحررة بعدهما في النصوص المنقوشة المكتشفة كانت تكملة لما سبق لمعالجة عدة قضايا كالعرائض التي قُدمت فيها شكاوي للسلطات الإمبراطورية وطلبات الترخيص لزراعة أراضي البور والأراضي غير المستغلة¹، وذلك طبقاً لأحكام وشروط معينه كمدة استغلالها ومدة تطابق الحالة أو الظرف مع القوانين الموجودة سلفاً في القانونين الأصليين كما ذكر أعلاه في النقوش.

وتجدر الإشارة إلى أن العلماء تباينت آراءهم حول القانونين نظراً لاختلاف ترجمة بعض المعاني والمصطلحات، والواضح أن القانونين يحملان العديد من الاختلافات بحيث قانون هادريانا يتضمن أحكاماً غائبة عن القانون الأول (مانكيانا) مثل الأحكام المتعلقة بحق توريث الأراضي المزروعة وأعمال السخرة وكذلك بخصوص الأراضي غير المزروعة خارج الوحدات الكنتورية(*) التي طالب بها الملتزمون (Conductors)².

إن قانون مانكيانا يعتبر الأكثر إثارة للجدل من نظيره هادريانا نظراً للغموض الذي يكتنفه حيث النصوص المكتشفة لا تمدنا بتلميحات كافية حوله على الأقل ما عدا نص هنشير ميتيش الذي يعتبر الوحيد حالياً الذي تضمن بعض السطور الواضحة التي استوتحت من القانون الأصلي، وترجم أحدها على النحو التالي من طرف بايراس (Peyras): "يسمح بزراعة هذه الأراضي التي تعتبر فرعية بموجب قانون مانكيانا"³. وللإشارة فقط القانون الأصلي ضاع أو بالأحرى لم يكتشف بعد.

إن ندرة المصادر الأثرية والكتابية حول هذا القانون (مانكيانا) جعل العلماء يطرحون أفكاراً وآراءً مختلفة بحيث وصلت إلى غاية اعتباره من طرف صوماني (Soumagne.C) تقليداً محلياً (Consuetudo) يرجع للفترة ما قبل الرومانية متخذاً سطر رقم 24 من الوجه الثاني لنص هنشير ميتيش كدليل⁴، في حين كوك (Cuq.E) يؤكد

¹خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص78.

(*)تقسيم الأرض و تنظيمها لوحدات و قطع مساحتها 50 هكتارا. انظر أدناه ص31 و32.

²Peyras Jean. La potestas occupandi dans l'Afrique romaine. In : Dialogues d'histoire ancienne, vol. 25, n°1, 1999, p.133-134.

³ibid., p134.

⁴Saumagne (C.), Inscriptions de Jenan-ez-Zaytoûn, op.cit., p, 295.

صعوبة تحديد تاريخ القانون ويرجح أنه يعود إلى الفترة الإمبراطورية¹, بينما يعتقد البعض أنه يعود لفترة الفلافيين (Les Flaviens) حينما كان الإمبراطور فيسباسيان (Vespasien) (69م-79م) على العرش².

إن هدف هذا القانون العام هو تنظيم العلاقات بين الملاك والكولون المزارعين³, فمثلا من يرغب في زراعة أرض لم تزرع من قبل داخل حدود أملاك الإمبراطورية يشترط عليه المواظبة في زراعتها للحصول على حق امتلاكها وزراعتها، وفي حال أهملوها أو انقطعوا عن فلاحتها لمدة معينة فالقانون يلزمهم بتركها، بالتالي استرجاعها من طرف المالك الأصلي⁴.

وهذا فقد حملت بعض الوثائق الأثرية تلميحات أخرى بحيث تشير نقيشة عين واصل أو مرسوم البروكوراتور (Sermo Procuratorum) عن استناد بنوده على قانون هادريانا (Lex Hadriana) بهدف تعميم الاستفادة من قوانين مانكيانا على مزارعي أملاك دوقة (Dougga) إضافة إلى إشارات أخرى تضمنتها نقيشة تعود إلى الفترة الإمبراطورية الثانية في عهد قسطنطين الأكبر (Constantin Ier) حوالي 310 م تدل على تواصل العمل بالاستناد إلى تشريعات مانكيانا في القرن الرابع، وإلى جانبها نذكر أيضا العقود الوندالية (Actes Vandales)^(*) وتعود إلى سنة 494 م المتمثلة في وثائق بيع وشراء لقطع أراضي تابعة لعقار زراعي، إذ تم تداول بعض من تشريعات مانكيانا في محتواها عدة مرات خلال القرن الخامس⁵.

أما بخصوص قانون هادريانا فقد اختلفت ظروفه مع قانون مانكيانا حيث يتعلق بإصلاحات أمر بها الإمبراطور هادريانا (Hadrien) (117م-138م)، فعندما زار إفريقيا

¹Cuq Édouard. Le Colonat partiaire dans l'Afrique romaine, d'après l'inscription d'Henchir-Mettich. In : C.R.A.I. Première série, Sujets divers d'érudition. Tome 11, 1^e partie, 1902, p.p143-144.

² محمد البشير شنييتي، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص75.

³Cuq (C.), op cit , p143.

⁴رستفتزف (م)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي و الاقتصادي، ج1، المرجع السابق، ص.ص234-235.

(*) أو ما يعرف بألواح ألبرتيني (Tablettes Albertini).

⁵ محمد البشير شنييتي، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص.ص82-83.

سنة 128م(*) كانت الأراضي والمستثمرات الإفريقية، في حالة تدهور وخاصة الجفاف، وهذا دفعه إلى قرار إصدار قانون ينظم ويعيد إحياءها بالحفاظ على روح أحكام قانون مانكيانا، وكان الهدف تحقيق الاستقرار والاستغلال الدائم للإمكانات الزراعية وذلك بخلق رابطة بين المزارع أو المستأجر والأرض¹.

وعكس القانون السابق فقانون هادريانا أشارت إليه عدة نقوش بحيث تم التعرف عليه عن طريق ثلاث إشارات، فالأولى عن طريق كل من نقوش عين جمالة وعين واصل أين ذكر حق امتلاك الأرض وحق توريثها حسب ما نص عليه قانون هادريانا، وثانيا في مرسوم البروكوراتور في نقش عين واصل تحديدا في الوجه الأول بين سطري 7 و 12 أين تم الإعلان عن إقامة مذبح (Autel) لقانون هادريانا، أما الإشارة الثالثة توجد في نص سوق الخميس أين كان الملتمسون يشكون من الانتهاكات التي يتعرضون لها من طرف الملتزمين (Conductors) بالتواطؤ مع النيابة (Procurators) بحيث طالبوا بعدم دفع ما يتجاوز النسب المئوية المنصوص عليها في قانون هادريانا وفي النيابة العامة (Litterae Procuratorum)².

أما الاكتشاف الحديث الراجع للعقد الثاني من هذه الألفية في منطقة هنشير هنيش أضاف بعض التلميحات، ويمكن اعتباره إشارة أخرى لهذا القانون أين أكد العالمان شريف علي (Chérif Ali) وهيرنان كونزاليس (González Hernán) أن هذا النقش الحجري الجديد يتضمن النسخة الأولى لقانون هادريانا، وكما ذكرنا سابقا فهذا الاكتشاف يحمل معلومات حول المباني التي يمكن تشييدها داخل الأراضي التي يشغلها المزارعون والكولون إضافة إلى المساحات المخصصة للماشية داخلها³.

(*) زيارة هادريان لإفريقيا سنة 128م صادفت نزول الأمطار التي رسمت نهاية لفترة جفاف موسمية، وهذا راجع لمناخ البحر الأبيض المتوسط، ما جعل إصلاحاته ذات تأثير بمساعدة هذه الصدفة المناخية. انظر:

- Claude Briand-Ponsart, Christophe Hugonit, l'Afrique romaine : de l'Atlantique à la Tripolitaine (146av. J.-C – 533ap. J.-C, Armand Colin, Paris, 2006, p236.

¹رسنفتزف (م), المرجع السابق، ص435.

² Chérif Ali (et d'autres). Les grandes inscriptions agraires, op cit., p.p1436-1437.

³ انظر اعلاه، ص18.

بالمجمل إصلاحات هادريانا في هذا القانون تناولت وعالجت عدة قضايا في بنوده وذلك عن طريق توسيع وتعديل ما تضمنه قانون مانكيانا السابق بحيث منح المقيمين الأجانب على أراضي السالتوس (Saltus) حق واضعي اليد (Possessores) شبيه بحق الملكية الفردية كذلك حق الزرع (Is Colendi) إضافة إلى حق الانتفاع شخصي، ويسمح لهم بحق توريثها وفق شروط كعدم الانقطاع عن العمل فيها وتأدية الشروط الواجبة عليهم نحو المالك ومتعهد الضيعة كالأقساط الضريبية¹.

فرغم تعذر اكتشاف النسخ الأصلية للقانونين إلا أن الأبحاث الأثرية التي أثمرت باكتشاف هذه النقوش الحجرية، قدمت لنا عدة إشارات وتلميحات وكذا بنود كاملة مستوحاة من الأصلي، وهذا ما ساعد في التعرف على السياسة التشريعية والقانونية الرومانية المطبقة في الأراضي الإفريقية والتي حققت نجاحا وساهمت في التطور الزراعي في المنطقة.

3. تشريعات الري حسب نقيشة لاماصبا (Lamasba):

التشريعات الرومانية لم تشمل فقط تنظيم الأراضي من حقوق الملكية وكذا الأقساط الضريبية والعلاقات والواجبات بين الملاك والمزارعين وغيرها، فقد شملت أيضا عملية الري حيث بعد أن قامت السلطات الإمبراطورية بتشييد منشآت الري(*) للاستفادة من مياه الأمطار والمجاري المائية، وضعت نظام للسقاية عن طريق إصدار مجموعة من القوانين التي تهدف إلى حماية حقوق المزارعين في سقي حولهم وبساتينهم من هذه المنشآت العمومية بانتظام حسب مدة زمنية معينة².

تعتبر نقيشة لاماصبا (Lamasba) المصدر الأثري الوحيد الذي يتضمن نظام توزيع المياه حسب قوانين وطرق علمية عادلة بين المزارعين باستثناء بعض التلميحات من طرف بلين الذي أشار إلى نظام توزيع المياه بين الحقول والبساتين في واحة قابس (Tacape) وفقا لمدة زمنية معينة تحسب بالساعات³.

¹ رستفنزف، (م)، المرجع السابق، ص435

(*) تم تناول موضوع منشآت الري في الفصل الثالث. انظر أدناه ص60.

² محمد البشير شنيتي، التغييرات الاقتصادية...، المرجع السابق، صص119-120

³ Pline, XVIII, LI, 22

وتم اكتشاف هذه النقيشة سنة 1877 في خرائب لاماصبا من طرف عالم الأنثروبولوجيا ماسكوري (Masqueray) الذي قام بدراسات عليها وثم نشرها في المجلة الإفريقية (Revue Africaine)¹. تضررت بعض أجزاء النقش خاصة الجزء السفلي واليميني بينما أجزاء أخرى بقيت سليمة، إضافة إلى فقدان كلي للخانتين الخامسة والسادسة من أصل ستة خانات عمودية متكونة من عشرات السطور وديباجة، واعتمدنا على هذا العدد من الخانات استنادا لفرضية شاو التي صور فيها النص الأصلي لنقش لاماصبا². (الشكل 6 ص 31).

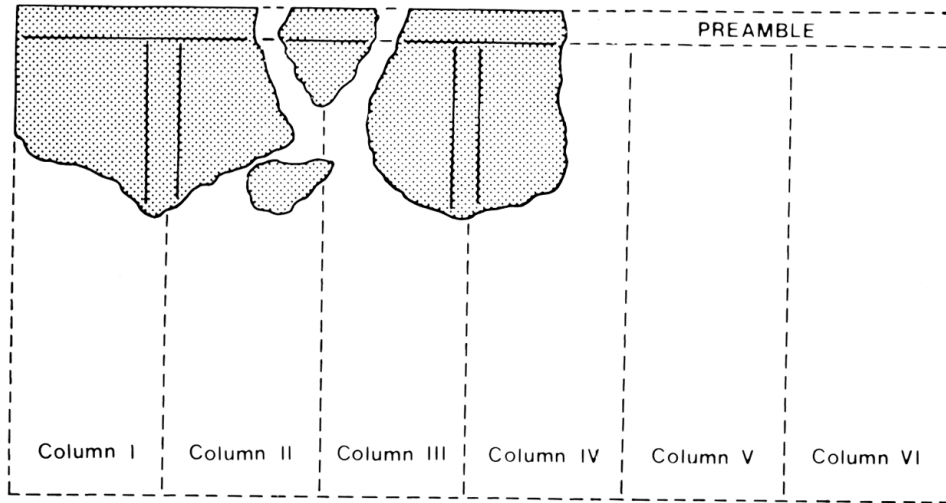
ويعود تاريخ العمل بتشريعات الري للاماصبا إلى فترة حكم الاغابالوس (Elagabalus) (218م-222م)³، وهذا لغرض معالجة مشاكل توزيع المياه في حقول المزارعين بسبب تذبذب التساقط، وهذا دفع المزارعين لممارسة الزراعة الشتوية، بحيث حدد النقش الفترة الزمنية لموسم الري بداية من شهر سبتمبر لغاية أواخر شهر مارس والتي تتم في هذه الفترة عملية زراعة الحبوب، الشعير والقمح، إضافة إلى زراعة أشجار الزيتون⁴.

¹Masqueray (E.), 2éme rapport à M. le Général Chanzy gouverneur général de l'Algérie sur la mission dans le sud de la province de Constantine , R.Af. ,N°21, 1877, p, 33

²Shaw Brent D. Lamasba : an ancient irrigation community. In : Ant.af, 18,1982, op.cit., p.p62-64

³Ibid., p68

⁴Pavis d'Escurac Henriette. Irrigation et vie paysanne dans l'Afrique du Nord antique. In : Ktéma : civilisations de l'Orient, de la Grèce et de Rome antiques, N°5, 1980, p182.



الشكل (6): افتراض للنقش الكامل للاماصبا.
المصدر: Shaw Brent D., op.cit. p64

إن محتوى الوثيقة بالمجمل يحتوي على اسم المالك وعدد وحدات ملكيته التي يشار إليها بحرف (k) (*) وكذا الوقت المحدد للسقاية الذي يحدده القانون بيوم البداية إلى يوم النهاية ثم بعدد الساعات كما يوضح النص المترجم من طرف دو باشتير (De Pachtère)¹. (الشكل 7 ص 32).

أما عن مصدر المياه في لاماصبا فأشار النص في الخانة الأولى على أنه يأتي من مياه كلوديانا (Aqua Claudiana) ولم يفصل على طبيعة هذا المصدر من طرف العلماء إن كان قناة ناقلة أو سد (De Pachtère) أو هي المجموعة الكاملة التي تمثل منشآت الري في المنطقة (J.Birebent) أم هي عينا قريبة للمكان حسب ما أورده شاو (Shaw)².

(*) لم يتوصل الباحثين إلى تحديدها فمن المرجح أن تكون وحدة خاصة معمول بها فقط في النطاق الإقليمي لمنطقة لاماصبا. انظر:

- خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص93.

¹Pachtère Félix-Georges de. Le règlement d'irrigation de Lamasba. In : M.A.H, tome 28, 1908, p 374.

²Shaw Brent D., op.cit., p72.

وقد دلت الوثيقة عن الأراضي المعنية بالسقي مجزئة لمدرجات (Scalae) وهي متجاورة بحيث يمر الماء بين المدرجات دون أن يستغرق ملء قنوات التوزيع أي وحدة زمنية والتي تم ربطها لكل مدرج¹. وتعمل العملية وفق نظام المياه الصاعدة والمياه النازلة، فالأولى يتم ضخها بواسطة آلة والثانية تنزل مباشرة من منشأة التخزين². وبسبب نقص المصادر الأثرية والكتابية حول نظام الري بشكل عام، نجهل إن كان يتم العمل بما جاء في هذا النقش في جميع مناطق شمال إفريقيا أو في لاماصبا فقط.

Scala I.							
		ex		7	kal(endas) octobr(es) ¹		
Mattius Fortis	k(apita) ? 308	ex h(ora) 1	d(iei)	7	kal(endas) octobr(es)		
Flavius Adjutor veteranus)	k 350	ex h(ora) 5 1/2	d(iei)	7	kal(endas) octobr(es)		
Her(edes) Apulei Faustini	k 117	ex h(ora) 10 1/2	d(iei)	7	kal(endas) octobr(es)		
Apuleus Rogatianus	k 110	ex h(ora) 12	d(iei)	7	kal(endas) octobr(es)		
Apuleus Africanus	k 110	ex h(ora) 1 1/2	noctis	7	kal(endas) octobres		
Apuleus Processus	k 220	ex h(ora) 3	noctis	7	kal(endas) octob(res)		
Her(edes) Aeli Chrysae	k 500	ex h(ora) 6	noctis	7	kal(endas) octob(res)		
Aemilius Secundus	k 450	ex h(ora) 1 1/2	d(iei)	6	kal(endas) octo(bres)		
Steminia Aemerita	k 400	ex h(ora) 8	d(iei)	6	kal(endas) oct(obres)		
Aelius Felix	k 200	ex h(ora) 2	noctis	6	kal(endas) oct(obres)		
Her(edes) Mari Saturnini	k 200	ex h(ora) 5	noctis	6	kal(endas) oct(obres)		
Maria Satura	k 150	ex h(ora) 8	noctis	6	kal(endas) octob(res)		
[Her(edes)] Mari Ca[tu]llini	k 150	ex h(ora) 10	noctis	6	kal(endas) [octobres]		
[Mar?]ia Dona[tu]la	k 100	ex h(ora) 12	noctis	6	kal(endas) oct(obres)		
[Mar?]ius Felix	k 200	ex h(ora) 1 1/2	d(iei)	5	kal(endas) octob(res)		
	k [1]20 (?) ⁷	ex h(ora) 4 1/2 ⁸	d(iei)	5	kal(endas) octob(res)		
	[k 33-64] ⁹	[ex h(ora) 6	d(iei)	5]	kal(endas) octobres)		
	[k 293-324] ⁹	[ex h(ora) 6 1/2	d(iei)	5	kal(endas) o]ctobres)		
	[k 390-422] ⁹	[ex h(ora) 11	d(iei)	5	kal(endas) octobres)		
		[ex h(ora) 5	noctis)	5	kal(endas) octobres)		

الشكل (7): نص مترجم لوثيقة لاماصبا

المصدر: Pachtère Félix-Georges de, op.cit., p377

¹De Pachtère., op.cit., p.377-378.

²ibid., p386.

II. تنظيم واستغلال الأرض:

1. نظام المسح و كنترة الأرض (Centuriation):

يعتبر مسح وكنطرة الأرض من أهم الإجراءات التي اعتمد عليها الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا وأقدمها إذ تعود أول عمليات الكنترة إلى عهد الجمهورية الرومانية فترة السياسي والعسكري جايوس جراكوس (Gaius Gracchus) في المناطق القرطاجية، وتواصلت كثافة عمليات المسح خلال العهد الإمبراطوري خاصة الفترة الأولى في أرجاء المنطقة المغاربية¹.

وكشفت الأبحاث الأثرية عن أنصاب حجرية للكنطرة في منطقة الفرجاج (El-Ferjaj) ومناطق أخرى في تونس عن طريق دونو (Donau)، إضافة إلى مجموعة من علامات الحدود (Bornes-Limites) في مناطق متفرقة داخل الحدود المشكلة لإفريقيا البروقنصلية (Proconsulaire)، ويعود تاريخ بعضها إلى عهد الإمبراطور تيبيريوس (Tibère) (14م-37م) بالإضافة إلى ما كشفه التصوير الجوي من آثار لخطوط تركتها عملية الكنترة².

فالكنطرة هي عبارة عن نظام مسح خاص للتهيئة الزراعية هدفها التنظيم وتقسيم الأرض لاستغلالها، كما توفر الوسائل للتحكم في النظام الزراعي³، بحيث يتم تقسيم مساحة من الأرض إلى وحدات كنتورية متساوية بواسطة شبكة من الخطوط المستقيمة⁴، وكل مربع يمثل 50 هكتارا (200 يوجيرا (Jugères))، وهذه الوحدات بدورها تنقسم إلى قطع مستطيلة تحدد عن طريق علامات حدود أو أنصاب (Bornes)⁵، والخطوط المتقاطعة يتم إنشاؤها انطلاقا من نقطة مرجعية هي أصل المحورين الرئيسيين اللذان يطلقان عليهم اسم

¹ Briand-Ponsart (C.) et Hugonot (C.), op.cit., p.p105-106.

²Trousset Pol. Les bornes du Bled Segui. Nouveaux aperçus sur la centuriation romaine du Sud tunisien. In : Ant.af, 12,1978, p.p125-126.

³Hilali Arbia. Rome and Agriculture in Africa Proconsularis : Land and Hydraulic Development. In : R.B.P.H, tome 91, fasc. 1, 2013. Antiquité – Ouheid, p114.

⁴ ستيفان غزال، الجمهورية الرومانية والملوك الأهالي، المرجع السابق، ج7، ص14.

⁵Saumagne Charles. Les vestiges d'une centuriation romaine à l'est d'El-Djem. In : C.R.A.I, 73^e année, N. 4, 1929, p.p309-310.

الكاردو ماكسيموس (Cardo Maximus) والديكومانوس ماكسيموس (Decumanus Maximus)¹.

فهذان الخطان الرئيسيان متعامدان، تتفرع انطلاقاً منهما مجموعة من الخطوط الثانوية الموازية لها لتشكل هذه الوحدات المربعة باستخدام علامات وأحجار مرقمة (Bornes-Limites)². أما حول اتجاه الخطان، فخط ديكومانوس ماكسيموس يحمل توجيه شمال - غرب إلى جنوب شرق بينما خط الكاردو ماكسيموس جاء بشكل متعامد له³، ودلت بعض الدراسات على العلامات المرقمة الحدودية أنه قد تكون هناك اختلافات طفيفة في الاتجاه بحيث يمكن أن يكون الخطان شمال-جنوب وشرق غرب⁴.

وبخصوص الأنصاب وعلامات الحدود والترقيم التي تخللت الخطوط الرئيسية والفرعية للوحدات الكنتورية فقد تم العثور على العديد منها وتحمل بيانات حول ممر خطي الكاردو والديكومانوس، إضافة إلى اتجاهات (Decussis) غالباً ما تكون إلى الشمال أو شمال غرب، وهدف هذه العلامات هو تحديد أبعاد الوحدة الكنتورية التي مثلتها الترقيمات على هذه الأحجار مثل: (d.d.70/u.k.280)⁵. (شكل 8 و 9 ص 35 و 36)

أما فيما يتعلق بفترة القيام بعملية الكنترة ومواقعها، فإنه لا يخرج عن نطاق إفريقيا البروقنصلية، بحيث بدأت خلال العهد الجمهوري في إفريقيا القديمة التي تشمل أراضي قرطاج بعد سقوطها سنة 146 ق.م، كما دل ذلك القانون الزراعي لسنة 111 ق.م والوثائق الأثرية الأخرى، وأغلب عمليات الكنترة تم القيام بها في الجنوب التونسي بالقرب من شط الفرجاج (El-Ferjaj). وتواصلت خلال العهد الامبراطوري الأول بداية فترة حكم أغسطس

¹Lionel R. Decramer et d'autres, « Approche géométrique des centuriations romaines. Les nouvelles bornes du Bled Segui », Histoire & mesure, XVII – ½ | 2002. URL : <http://journals.openedition.org/histoiresmesure/903>, consulté 15/08/2024, p2.

²Saumagne (C.), les vestiges d'une Centuriation..., op.cit., p310.

³Trousset Pol. Les bornes du Bled Segui..., op.cit., p141 ; ستيفان غزال، المرجع السابق، ج7، ص17

⁴Ibid., p150.

⁵Ibid., p77.

وتبيريوس في هذه الأراضي الجديدة بعد أن تم دمج إفريقيا القديمة بالجديدة، وذلك بضم الأجزاء النوميديّة والطرابلسيّة لتمتد إفريقيا البروقنصلية إلى غاية سيرتا سنة 44 ق.م¹.

وكشفت الوثائق الأثرية عن خطوط أولى لعمليات الكنترة في إقليم الأوراس ما بين 6م و 29م^(*)، وامتدت إلى غاية حدود الصحراء مع الإمبراطور هادريان تزامنا مع تواصل حركة الاحتلال، وشملت الأراضي الممتدة بين نقرين (Negrine) و بادياس (Badias)، إضافة إلى سهل قارت (Guert) وسهول الوديان بالمحمل (El-Mahmal) في خنشلة، وهذا ما بين القرن الأول و أوائل القرن الثاني²، كما كشف التصوير الطوبوغرافي الجوي عن آثار لعملية كنترة في منطقة تاجنانت لولاية ميله وحول منطقتي جبل أغرور و الحمام³، والملاحظ أن الأراضي المعنية بالكنترة شملت بشكل كبير أراضي السالتوس (Saltus) من مساحات غابية، أحراش، منحدرات وأراضي صعبة للزراعة أو غير صالحة، ما يؤكد أن هذه العملية قد أخذت طابع توسعي واستعماري⁴.



الشكل(8): علامة ترقيم للكنترة.

المصدر: Troussel Pol, les bornes du bled Segui..., op.cit., p128.

¹ ستيفان غزال، المرجع السابق، ج7، ص.ص 17-18.

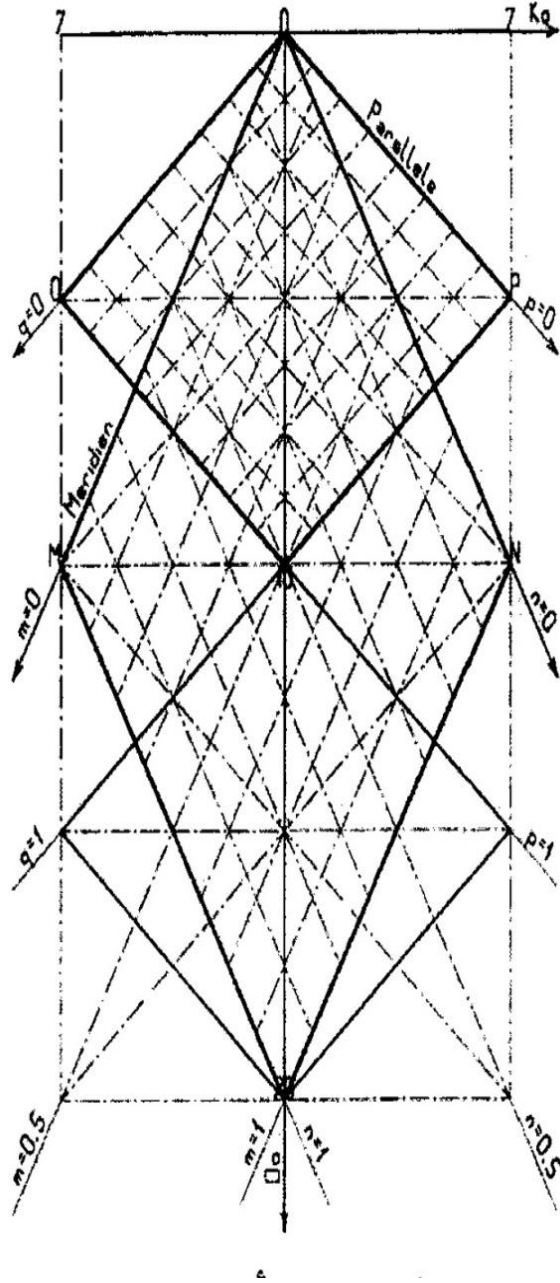
(*) استند هذا التاريخ التقريبي إلى فترة حلول الفرقة الأغسطسية في إقليم الأوراس. انظر:

-محمد البشير شنيّتي، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص58.

² نفسه.

³Soyer Jacqueline. Les cadastres anciens de la région de Saint-Donat (Algérie). In : Ant.af., 7,1973, p275.

⁴ محمد البشير شنيّتي، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص.ص 58-59.



الشكل (9): مخطط لأرض مكنترة.
المصدر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 83.

2. المستثمرات والوحدات الإنتاجية:

بعد أن قام الاحتلال الروماني بالسيطرة على منطقة شمال إفريقيا، شرع في مصادرة أراضي ساكنيها وإخضاعها لقانون الملكية وإعلانها ملكا لروما وشعبها¹، فبعد الحيازة عليها أخذت الأرض أشكالاً وتم تقسيمها استناداً إلى التشريعات الرومانية إلى²:

– أراضي الإمبراطور:

هي أراضي مستقلة من كل النظام المدني وجهازها الإداري والضريبية.

– أراضي الأسر الأرستقراطية:

وعلى رأسها طبقة مجلس الشيوخ، وتشمل المساحات الزراعية والرعية، ويطلق عليها براري الأحرار (Saltus Privati).

– أراضي المستثمرات (Colonia) والبلديات (Municipium) والمدن (Civitas):

هي أراضي يملكها المزارعين (Colon) والأسر الأرستقراطية المحلية المدمجة أو غير المدمجة، واستفادوا منها عن طريق مشاريع الاستيطان.

– أراضي العشائر (Gens):

هي أراضي تركت من طرف الرومان للاستفادة الجماعية وأهمها المراعي والأراضي منخفضة الخصوبة أو التي تعتبر غير ملائمة للاستغلال الروماني.

– أراضي مناطق التعدين والغابات:

حيث وُضعت مساحات تحت سيطرة الأباطرة بينما أخرى تم تأجيرها لشركات خاصة³.

¹محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 87.

²محمد البشير شنياتي، التغييرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص.ص 66-68.

³خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 97.

والملاحظ من هذا أن الأراضي الخصبة والمساحات الكبيرة كانت من نصيب الطبقات العليا الحاكمة والأرستقراطية، بينما الأراضي الأقل خصوبة كالتالي أمام المستنقعات والمنحدرات والجبال وغيرها كان يشغلها الأهالي وبعض المستوطنين.

وتعددت أنواع المستثمرات والوحدات الإنتاجية بتعدد أسمائها حسب طبيعة الأرض ودورها الإنتاجي وكذا أنواع الملكية، وفيما يلي أهمها:

أ- السالتوس (Saltus):

هذا المصطلح في اللغة اللاتينية يشير إلى الغابات والبراري والجبال¹، وهو في القانون الروماني ملك عقاري مستقل تعود ملكيته إلى الطبقة السيناتورية أو دومان إمبراطوري (Domaine)².

وتقع هذه الأراضي خارج نطاق الأراضي المكنترة وقد تكون امتدت إليها لاحقاً لاسيما بعد استصلاح مساحات كبيرة منها و تحويلها لأراضي تنتج الكروم والزيتون كما دل على ذلك نص هنشير ميتيش³، وغالبا ما تكون مستغلة من طرف السكان الذين تعرضوا لنزع الملكية، والتي تعرضت للاستحواذ من طرف كبار الملاك قبل أن يسيطر عليها الإمبراطور نيرون (Néron) (54م-68م) لاحقاً، وهي على امتداد في حوض وادي مجردة ومنها سالتوس بورونيتانوس (Saltus Burunitanus) وسالتوس ماسيبيانوس (Saltus Massipianus) وغيرها⁴.

ب- اللاتيفونديا (Latifundia):

¹Quicherat (L.-M.), Dictionnaire Latin Français, 41^e édition, Gr. In-8°, Librairie Hachette, 1910, p1221.

² Beaudouin (E.), les grands domaines dans l'Empire Romain D'après des travaux récents , Librairie de la société du recueil général des lois et des arrêts , Paris, 1899, p10.

³خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص101؛ ستيفان غزال، المرجع السابق، ج7، ص77.

⁴محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص.ص91-92.

هي ملكية عقارية كبيرة، والتي أنشأها المالك عن طريق دمج مجموعة من الفوندي، ويكبر عددها كلما أرغم كبار الملاك صغار الملاك ببيع أراضيهم أو عن طريق الاعتداء عليها بانتزاعها و ضمها لملكيتهم الفسيحة سلفاً¹.

وتشير النصوص الأثرية إلى أن اللاتيفونديا تعتبر ضمن إقليم المدينة (In Territorio)، واللاتيفونديا الإمبراطورية معفاة من دفع الضرائب بينما نظيرتها الخاصة ملزمة بنص من القانون بدفع ما يستحق من الأقساط².

ج- الفندس (Fundus):

والتي تعني باللغة اللاتينية مزرعة، و حسب القانون الروماني فهو كل ملكية عقارية تتضمن أراضي فيها مباني ومساكن أو منشآت، ويمكن أن تكون الحقول الصغيرة ذات الحدود المعلومة فندسا أيضا، فمن المرجح أن هذه التسمية قد أطلقت خلال فترة القيام بإجراءات الكنترة³، ولا يعتبر الفندس إقليما إداريا وإنما مستثمرة فلاحية كبرى مملوكة من طرف العائلات البرجوازية⁴، وتتركب من سكن المالك والمزارع (Colonicae) الخاصة بالكولون (Colon)، إضافة إلى الأراضي المهملة التي تحيط حدود هذه المستثمرة⁵.

وبجانب هذه المستثمرات نضيف البرايديا (Praedia)، الذي يمثل في التشريعات الرومانية كل ما يتعلق بالأرض والعقار، وتتميز بعدة أنواع منها برايديا المقاطعة (Praedia Provincialia) وهي مخصصة لضمان الدولة أو البلدية، والبرايديا المرهونة (Praedia Subdita) مخصصة لضمان الدولة أو البلدية من المدانين ورجال الأعمال، وإضافة لمستثمرات الفيلا روستيكا (Villa Rustica) التي تعني المزارع الريفية التي تقع خارج المدن وتحتوي على إقامة المالك ومنشآت زراعية، وهي جزء من الدومان (Domaine) الذي يتضمن داخله منزل مالك المزرعة، ففي المقاطعات الإفريقية كانت

¹Boudouin (E), op cit., p11-12.

²محمد العربي عقون ، المرجع السابق، ص.ص89-90.

³Saglio (E.) et Daremberg(Ch.), Dictionnaire des antiquités Grecques et Romaines (D.A.G.R), T.II, volume2 ,éditions Hachette, paris,1873-1919,p1366-1367.

⁴خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص104.

⁵Peyras Jean. Le Fundus aufidianus : étude d'un grand domaine romain de la région de Mateur (Tunisie du Nord). In : Ant.af., 9,1975, p206-207.

ملكية هذا النوع من المستثمرات تابعة لوجهاء المدينة أو قدماء الجند أو العناصر المترومنة، وأغلبها تحت سيطرة نواب مجلس الشيوخ¹.



الشكل (10): فسيفساء طبرقة توضح اقامة لمالك مستثمرة في الريف.
المصدر: www.meiSterdruck.ae

3. نظام استغلال وتسيير المستثمرات الزراعية:

إن استغلال وتسيير الأملاك الزراعية في العهد الإمبراطوري يتم وفق جهاز تسيير تراتبي بحيث يأخذ شكلا هرميا حسب الرتبة والطبقة الاجتماعية أو مكانته أو دوره في الإمبراطورية، فهذه الملكية الكبيرة يصعب على المالك استغلالها والسيطرة عليها بنفسه، ويلجأ للإشراف عليها بتعيين مسيرين ووكلاء وبدورهم يعينون طاقم عامل ومزارعين أو يقومون بتأجيرها مقابل دفع ضرائب أو بطرق أخرى مثل العمل المجاني أو بالمحاصيل

¹خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص.ص105-107.

والمنتجات، وهذا تبعا لما ورد في نصوص نقش هنشير ميتيش الذي تضمن بنود لقانون مانكيانا¹.

إن المستثمرات الزراعية الكبرى يستحوذ عليها بطبيعة الحال ما يسمون بالملاك الكبار أغلبهم ينحدرون للطبقة الإمبراطورية والسيناتوروية وكذا الطبقة الارستقراطية التي تملك نفوذا²، بحيث يستغلونها بنظام الوكالة ويغلب عليها طابع التأجير عكس ما كان في العهد الجمهوري أين كان استغلال الأرض يتطلب يدا عاملة كبيرة أساسها العبيد والأجراء، إضافة لوسائل كثيرة ومتنوعة.

ويحتوي جهاز التسيير على وكيل (Procurator) من طبقة الفرسان ويُكوّن لنفسه إدارة مركزية تتوزع أطرافها في المناطق الزراعية الموضوعة تحت إشرافهم، وهذا الطاقم بدورهم يعملون على مراقبة التنفيذ الجيد للصفقات وفق القانون، ويليه الملتزمين (Conductors) المتمثلة مهامهم في إبرام العقود مع المستأجرين وكذا جمع الضرائب منهم³، أو التعاقد مع الشركات التجارية التي تستغل المزارعين الصغار⁴.

ومن الواضح أن تشغيل العبيد والرقيق في الأعمال الفلاحية قد انخفضت نسبه الاعتماد عليهم في العهد الإمبراطوري بعد أن انتشر نظام الوكالة والتأجير بإشغال المزارعين (Colons) أو تأجيرهم بدلا من العبيد⁵ (*).

أما الملتزمون (Conductors) بجانب مهامهم المذكورة سابقا فبإمكانهم أن يستأجروا قطعا من الأرض في نفس الوقت والتي لم تؤجر إلى المستأجرين المزارعين، ويرجح أنهم استخدموا الرقيق في فلاحه تلك الأراضي⁶، وفي بعض الاحيان تحدث انتهاكات

¹Cagnat René, op.cit., p.p, 151-152.

²رستفتزف (م)، المرجع السابق، ص396؛ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص87.
³ نفسه، ص.ص96-97؛ محمد البشير شنييتي، التغييرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص.ص69-70.
⁴ نفسه؛ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)، المرجع السابق، ص222.

(* إلى جانب انتشار نظام الوكالة، فالسبب الذي جعل الملاك يستغنون عن العبيد راجع لعدم خبرتهم و معرفتهم لأشغال الزراعية عكس الكولون (Colons) الذي تربطه العلاقة بالأرض منذ ولادتهم و يتقنون المجال الفلاحي. انظر: محمد البشير شنييتي، الاحتلال الروماني...، المرجع السابق، ص122.

⁵رستفتزف (م)، المرجع السابق، ص397؛ محمد البشير شنييتي، التغييرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص96.
⁶ نفسه.

من طرف هؤلاء الملتزمون بحيث يفرضون أقساطا ضريبية للكولون المزارعين بنسب متجاوزة للتي أقرها القانون حسب نقش سوق الخميس¹.

والعمل الميداني يقوم به الكولون أي الفلاحين الصغار إما كمستأجرين أو كأجراء، وملزمون بدفع ضرائب من المحاصيل والمنتجات إضافة إلى أيام عمل مجانية في الحصاد والحرق والجني وكذا إعارة ماشيتهم².

أما قدماء الجنود فهم أيضا ضمن العائلة الزراعية بحيث حصلوا على أراضي من الإمبراطور ومجبرون على زراعة هذه الضيعات الصغيرة، ولتسهيل عملهم تم إعفاؤهم من الضرائب بالإضافة لتزويدهم بعتادٍ للزراعة وكذا ثيران وعبيد³.

وبخصوص الملاك الصغار في غالب الأحيان هم من الطبقة الأدنى أو الفقيرة المتكونة خاصة من المزارعين الأهالي وبعض المستوطنين الرومان منهم الكولون (Colons) خاصة الساكنين في الأرياف، فهم غالبا مستأجرين للأرض في الضياع الكبيرة⁴. وهؤلاء الملاك عكس الملاك الكبار يزرعون الأرض بنفسهم في قطعهم الصغيرة⁵، وأحيانا بعض المزارعين يستعينون بعائلاتهم لزراعتها في حين آخرين يستأجرون عمال للأعمال الشاقة كحصد العنب (Vendange) لصناعة النبيذ أو جمع التبن (Fenaison)⁶.

وتجدر الإشارة إلى أن ضيعات الملاك الصغار مآلها الابتلاع من طرف ضيعات الملاك الكبار، وتبقى دائما تحت تهديد الدمج بإرغام أصحابها ببيعها أو بالعمل فيها كأجراء، فهذه السياسة أوصلت وضعية الأرض إلى حد أن ستة ملاكين فقط ملكوا نصف إفريقيا قبل أن يتم مصادرتها في فترة حكم الإمبراطور نيرون (Néron) (54م-68م)⁷.

¹Tissout (C.), op.cit., p81.

²رستفتزف (م)، المرجع السابق، ص397.

³ Lacroix (F.), ... (procédés agricoles), 1870, op.cit., p.22-23 .

⁴رستفتزف (م)، المرجع السابق، ص398؛ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص202.

⁵ Lacroix (F.), ... (procédés agricoles), 1870, op.cit., p24.

⁶Ibid., p29.

⁷ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص224.

وفيما يخص المرأة فرغم شح الوثائق الأثرية والكتابية إلا أن هناك بعض الدلائل تؤكد على أن المرأة شاركت في الأعمال الزراعية كما وضّح لنا النقش الجنائزي غيرزة (Ghirza) عملية الحرث والبذر، حيث يُظهر امرأة (تم التعرف عليها من لباسها) تقوم بحرث الأرض مستندة على محراث يجره ثيران¹. (شكل 11 ص 43) كما أنها ملكت الأراضي كما ملكها الرجال وكان لها مزارعين إضافة لعبيد كما وضحت ذلك فسيفساء زليتن (Zliten) في دار بوك عميرة (ليبييا) أين تظهر سيدة تراقب العمال وهم يدرسون المحاصيل الزراعية. (شكل 18 ص 56).



الشكل (11): نقش غيرزة (Ghirza) الجنائزي

المصدر: Martine Elizabeth Agnès, *The Role and Position of Women in Roman North*, African Society, Doctoral Thesis, Literature and Philosophy – Ancient history, University of South Africa, 2002, p210

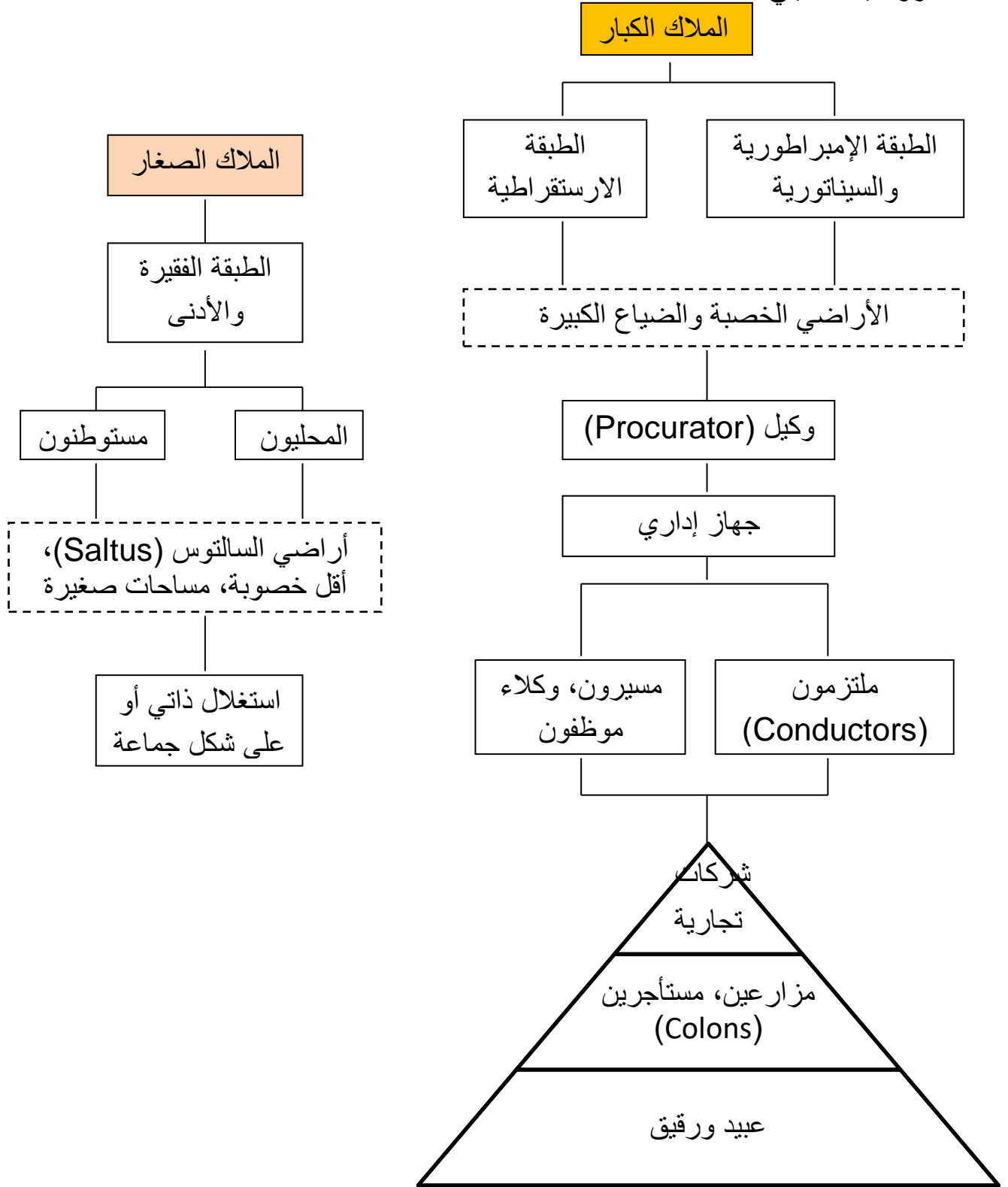
كما حملت فقرات كتاب أبوليوس (Apuleius) أبولوجيا (Apologia) أدلة أخرى حيث أن زوجته إيميليا بوندنتيلة (Emilia Pudentila) تمكنت من تكوين ثروة هائلة بفضل ذكائها في تسيير ممتلكاتها من الأراضي والحقول الخصبة التي أنتجت كميات كبيرة من الحبوب والمحاصيل المتنوعة، كما توجد المرأة العاملة فئة المزارعة امتلكت قطع أراضي صغيرة أو متوسطة حيث تزرعها بنفسها كما أشارت وثيقة لاماصبا (Lamasba) إلى أسمائهن².

¹Martine Elizabeth Agnès, op.cit., p.p210-211.

²خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية و المصادر الأدبية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد، 23، عدد، 1، وهران، 2008، ص.ص280-281.

وانطلاقاً مما سبق اختصرنا في مخطط تقريبي نظام تسيير المستثمرات والملكية

الزراعية كما يلي:



الشكل (12): مخطط تقريبي لنظام تسيير المستثمرات (من إعداد الطالب).

III. الضرائب الزراعية:

تعددت أشكال وأنواع الضرائب الرومانية في مختلف المجالات وقطاعاتها الاقتصادية وبشكل خاص على الزراعة.

فطبيعة النظام الضريبي وآلية عملها كانت ذات تأثير كبير على إمبراطوريتها وكذا مقاطعاتها خاصة الفلاحين الذين أثقلت كاهلهم من خلال استخلاص الضرائب من منتجاتهم الزراعية بنسب كبيرة. فالامتداد الواسع للإمبراطورية الرومانية على مختلف قطاعات البحر الأبيض المتوسط عدّد من الأجناس الخاضعة لها ما زاد من تعداد السكان وبالتالي زيادة الدخل والأرباح بنسب ضخمة للسلطة عن طريق الضرائب المفروضة¹.

يمكن إحصاء نوعين من الضريبة المتعلقة بالأرض والإنتاج وهي كما يلي:

1. ضريبة الأرض المستغلة:

طبقت روما نظامها الجبائي في إفريقيا بداية من سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م، فقد تعرض لها السكان المحليين في نطاق ضريبة المهزومين²، وفي بداية الفترة الإمبراطورية من بداية حكم أغسطس (Augustus) سنة 27 ق.م و من خَلْفَهُ بعده مباشرة، كان أغلبية المستغلين للأرض وكذا الطبقة البرجوازية القاطنة في المدن (Civitates) والبلديات (Oppida) فرضت عليهم دفع الجزية (Stipendium) وضريبة الأرض، وكما كان في بداية الاحتلال فقد تواصل إرغام الأهالي على دفع الضريبة على الرأس مقابل سلامتهم³. وفي القرن الثاني الميلادي تغيرت وضعية المحليين نسبيا وذلك بالسماح لهم باستئجار الأراضي الغير مُشغلة من الملاك، ليصبحوا ملاك صغار لتلك القطع الزراعية مع إجبارية دفع ضريبة الأرض إلى الملتزمين (Conductors)⁴.

¹Fournier De Flaix(E.), l'impôt dans les diverses civilisations, T.I, Librairie de la société du recueil général des lois et des arrêts, Paris, 1897, p.p143-144.

² محمد البشير شنيني، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص127.

³رستفنزف (م)، المرجع السابق، ص284.

⁴نفسه، ص397.

وكانت هناك استثناءات أقرها القانون بحيث يعفى من الضرائب كل من يقوم باستصلاح أراضي البور في العشر سنوات المتتالية، فالضريبة الملزمة هنا هي تقديم قسط من الإنتاج للدولة عن طريق وكلاء أو مسيرين تلك الضيعات كما نص عليه نقش هنشير ميتيش¹.

2. ضريبة الإنتاج:

تضمن نص هنشير ميتيش السابق مجموعة من البنود تتعلق بالأقساط الضريبية الملزمة دفعها من مختلف المنتوجات، حيث نص أحد هذه البنود على دفع أقساط من إنتاج الأشجار المثمرة كالزيتون والكروم كما أقره قانون مانكيانا².

تبلغ ضريبة القمح والشعير ثلث الإنتاج كما ذكر في نص يعود لفترة حكم الإمبراطور كاراكالا (Caracalla) (198م-217م)، ينص فيه إخضاع مدينة باناسا (Banasa) الرومانية لضريبة نقدية أو عينية المادة القمح³، ومن العادة أن تبلغ الضريبة العشر، لكن يُرَجَّح أن في بعض الجهات مثل موريطانيا القيصرية والطنجية أنه أخضعت لتضعيف العشر (أي 10/2).

أما بخصوص المنتوجات الأخرى فقد تم فرض دفع الثلث من مادة الزيتون بعد عصره مع ضمان الإعفاء للذي يغرس زيتونا جديدا من الدفع لمدة عشرة سنوات، أما الكروم فيتم جباية الثلث عن الخمر بعد عملية عصره مع إعفاء صاحبها من الدفع إذا تجاوزت الكرمة خمس سنوات من مدة غرسها، بينما التين يدفع عنه الثلث أيضا حيث يحتفظ الكولون (Colon) بجزء منه ويترك الباقي للمسيرين أو لمستأجري الأرض، و تعفى من الضرائب هي الأخرى إن لم تتجاوز خمس سنوات من غرسها، أما الفول يُقسط منه الربع أو الخمس من المحصول⁴.

¹ انظر اعلاه ص18.

² نفسه.

³Thouvenot Raymond. Une remise d'impôts en 216 ap. J.-C.. In : C.R.A.I., 90^e année, N. 4, 1946, p.550-551.

⁴خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص112.

كما أشار نقش هنشير ميتيش إلى أقساط العسل الذي يتم جباية ربع لتر عنه، وكل من يملك أكثر من خمس قفيرات (ruches) يجبره القانون على دفع المستحقات المطلوبة للمكلف، وفي أخفى صاحبها قفيرات سيتم مصادرتها.

وللإشارة في جانب الأقساط التي تدفع على المنتوجات الزراعية، فهي تعتبر أقساطا ثابتة في القانون ولا يتم الاعفاء منها خارج هذا الأخير¹.

¹ نفسه، ص 113

الفصل الثالث: آلية السير الميداني للعملية الزراعية والإنتاجية

أ. الوسائل الزراعية واستغلالها للأرض

1. المحراث وعملياتي الحرث والبذر

2. أعمال الحصاد والدرس

3. استغلال الحيوانات

ب. عملية السقي

1. منشآت التجميع والتحكم

2. منشآت التخزين والتوزيع

ج. المنتجات الزراعية

1. القمح

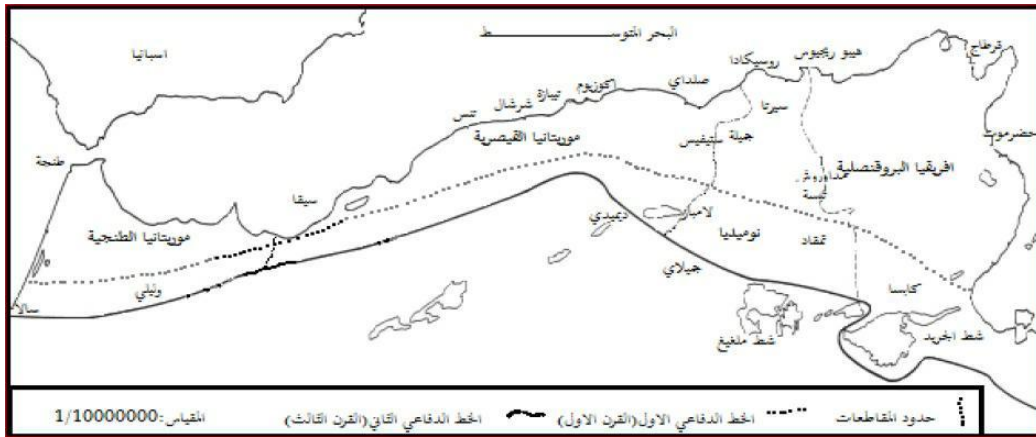
2. الزيتون

3. الكروم

الفصل الثالث: آلية السير الميداني للعملية الزراعية والإنتاجية

لقد سخر الاحتلال الروماني مجموعة من الوسائل والآليات لضمان السير الملائم لعملية الزراعة والإنتاج، وشجعت الإمبراطورية على استصلاح الأراضي وتنظيمها، قامت بتوسيع خارطة الرّي الفلاحي لمحاربة مناخ المنطقة نظراً للجفاف الذي يصيبها وذلك بتشديد منشآت تساهم في تخزين المياه وتوزيعها على الحقول والمزارع. وخصصت مجموعة من مختلف أشكال الأدوات والعتاد لمواجهة التربة المستعصية حتى على المحراث بهدف تطوير النشاط الزراعي لتحقيق إنتاج وفير كافي ليغطي احتياجات الإمبراطورية من مختلف المحاصيل والمنتجات الفلاحية¹.

فعجز روما عن إنتاج المحاصيل التي تكفي كيانها جعلها أيضا تقوم بتوسيع رقعة زراعة الحبوب خاصة القمح الذي يعتبر المنتج الرئيسي للاستهلاك في الإمبراطورية، ما دفع دوميتيانوس (Domitianus) لمحاولة ممارسة زراعة واحدة على حساب الأنواع الأخرى كالزيتون والكروم، فأصبحت تنتج كميات كبيرة من القمح لتحقق الاكتفاء الذاتي عن طريق مقاطعاتها الإفريقية والتي وفرت فيها الوسائل والمنشآت اللازمة وكذا مختلف الإجراءات والهدف تموين روما بمختلف ما تنتجه أرض شمال إفريقيا².



الخريطة (3): حدود المقاطعات الإفريقية خلال الفترة الرومانية.

المصدر : خنيش عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 147

1 شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)، المرجع السابق، ص 205.
2 نفسه، ص 206.

1. الوسائل الزراعية واستغلالها في الأرض:

1. المحراث وعملياتي الحرث والبذر:

كشفت الوثائق الأثرية من صور الفسيفساء والبقايا الأثرية عن عملية الحرث وشكل المحراث الروماني المستعمل في المنطقة المغاربية وكذا النشاطات الزراعية المقامة على هذه الأراضي، إضافة إلى بعض الأدوات اليدوية المستعملة أثناء غياب هذه الآلة، كما وضحت أيضا بعض التفاصيل حول التقنيات والأساليب المستخدمة في هذه المرحلة من الأعمال الزراعية.

وتجدر الإشارة إلى أن الأدوات المستعملة في الإمبراطورية الرومانية مختلفة على مقاطعاتها التي تموقت على طول ضفاف البحر الأبيض المتوسط، بحيث يختلف شكل المحراث المستعمل مثلا في شمال إفريقيا مع ذلك المستعمل في إيطاليا وأوروبا أو شرق البحر المتوسط مثل المحراث ذو الشفرتين المستعمل في اسكندنافيا وبريطانيا أو المحراث القلاب ذو العجلتين¹. فلا وجود لدلائل أثرية أو كتابية على وجود هذه الأنواع في شمال إفريقيا، ومن المؤكد أن المحارث الرومانية تم تكييفها حسب مناخ وظروف المنطقة، وبالتالي تصميم هذه الآلة يعتمد على نوعية التربة².

إن عملية الحرث في المنطقة المغاربية خلال الفترة الإمبراطورية تمت عن طريق المحراث المسنن (الشكل 14 ص 53) الذي صورته جيدا فسيفساء شرشال للأعمال

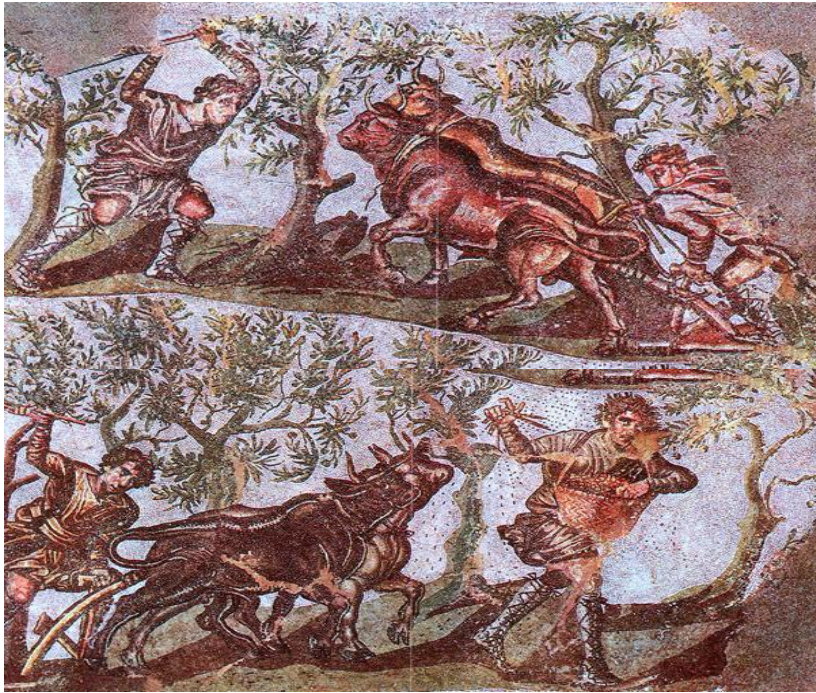
¹سماح محمد الصاوي، أشكال أدوات الزراعة في العصر الروماني - دراسة أثرية، دراسات في آثار الوطن العربي، مج16، ع1، الإسكندرية، 2013، ص.ص190-192.

²تختلف نوعية التربة في شمال إفريقيا من منطقة إلى أخرى ما يستلزم اتخاذ الاحتياطات والإجراءات المناسبة لزراعتها كالعتاد الفلاحي من أدوات و يد عاملة، إذ تكون التربة أحيانا مستعصية على شفرة المحارث لتكوينها طبقة صلبة جراء الحرارة في الصيف، وتبدأ عملية الحرث بداية من فصل الخريف عندما تبللها الأمطار الأولى لتفادي الحوادث لصلابة التربة، وأحيانا تكون تربة خفيفة وحصوية في بعض المناطق، وتختلف حسب الظروف المناخية من متوسطي وداخلي إلي صحراوي، انظر:

- Prêcheur Canonge (T.), La vie rurale en Afrique Romaine d'après les Mosaïques, Publications de l'université de Tunis-Faculté des Lettres, in : Archéologie, Épigraphie, 1^{er} série, vol. 6, P.U.F, 1962, p.p43-44; Hollander David (B.), Farmers and Agriculture in the Roman Economy, Routledge, London, 2019, p43 ; سماح محمد الصاوي، مرجع سابق، ص 189.

الزراعية(*) (الشكل 13 ص 51)، كما تضمنت أيضا فسيفساء أوضنة (Oudhna) مشهد حرت ومجموعة من النشاطات الريفية، (الشكل 20 ص 59) ويظهر فيها المحراث المسنن بأقل وضوح مقارنة بالفسيفساء السابقة (شرشال) مع اختلافات طفيفة على مستوى بعض من أجزائه.

ويتكون هذا المحراث من عدة أجزاء وعلى رأسها القطعة المركزية والتي هي الدعامة (Buris/Age) والتي يتحكم عن طريقها المزارع بالمحراث ويسند عليه أيضا، ثم المزحف (Dentale/Sep) الذي يتصل بكل أجزاء المحراث وهو بمثابة القاعدة حيث ثبت عليه كل من الدعامة والمقبض (Temo/Manche) والذي بدوره (هذا الأخير) يتم وصله بالنير (Jugum/Joug) (*) ليجره ثورين¹. (الشكل 21 ص 59)



الشكل (13): فسيفساء شرشال للأعمال الزراعية : مشهد حرت و بذر.
المصدر: www.musee-cherchell.dz

(*) تم استعمال المحراث المسنن في الفترة الإمبراطورية ما بين 27 ق.م-476م، ولتحديد فترة الاستعمال تم الاعتماد على التاريخ الذي تعود إليه فسيفساء شرشال للأعمال الزراعية، بحيث ترجع إلى ما بين القرنين الثاني والثالث ميلادي، فاللوحة تعتبر نادرة من نوعها في شمال إفريقيا كونها توضح تفاصيل مهمة في الحياة الزراعية في المنطقة ومنها خاصة تفاصيل المحراث، وهي محفوظة في المتحف الوطني - شرشال، انظر:

- https://www.musee-cherchell.dz/Arabe/collections_mosaiques.html

(*) هي قطعة مصنوعة من الخشب أو من مادة مرنة كالجلد توضع بين الثورين على مستوى العنق ليتم ربط مقبض المحراث (Manche) إليه للتحكم بالدايين جيدا، وكذلك لغرض السلامة، كي يترك مسافة ويفصل بينهم لتجنب الاصطدام، انظر:

- Précheur Canonge (T.), op.cit., p.p44-45.

¹ Bérard (J.), op.cit., p.p131-132.

وكل الأجزاء السابقة مصنوعة من الخشب ما عدا قطعة واحدة مصنوعة من الحديد وهي شفرة المحراث (Vomer/Soc) (الشكل 16 ص 53) التي تغوص في الأرض لتشكل الأخاديد (Sillons)¹، وتساهم في فتح وقلب التربة وإبعاد الأحجار والحصى²، كما يساهم أيضا بتفتيت التربة قبل الشروع في عملية الزراعة، وله دور في الحفاظ على رطوبة التربة وإزالة جذور الأشجار القريبة³ كما وضحتها فسيفساء شرشال.

ومن الملزم الإشارة أكثر للمحراث المحلي(*) الذي استعمله البربر (الأمازيغ) قبل وأثناء الفترة الرومانية في الأراضي التي ملكوها أو التي لم تصادر منم، حيث يرى كامبس (Camps) أن المحراث المحلي لا جذور له من القرطاجيين أو الرومانيين، بل أجزاءه مصنوعة من الخشب الصلب وتركيبته بسيطة حيث تكون من قطعتين أساسيتين هما المقبض (manche) والمزحف (Sep) ومنها أخذ تسمية محراث المقبض-الزاحف (Manche-sep) (الشكل 2 و 3 ص 16)، والقطعة التي تغوص في التربة مائلة نحو الأرض عكس المحراث المسنن الروماني أو المحارث المستعملة في المقاطعات الأخرى، ما يجعله أكثر فعالية في المنطقة رغم بساطته⁴، والفصل الذي تتم فيه عمليتي الحرث والبذر هي فصل الخريف عند نزول الأمطار الأولى التي تسهل العملية⁵.

في بعض الأحيان يتم استعمال أدوات يدوية في عملية الحرث أو تنوب كلياً عن استخدام المحراث، حيث أن بعض أنواع التربة لا تستلزم المحراث أو بالأحرى يتعذر ذلك إذا كانت تضاريس المنطقة لا تسمح باستعماله لانحداراتها التي تشكل خطراً على الثيران والمزارعين، فهنا يتطلب استعمال أدوات يدوية ذات الحجم الصغير مثل المعول (Pioche) بحيث تم العثور على قطعة منه بسنٍ واحدة في فالمة (الشكل 17 ص 54)، وأظهرت فسيفساء

¹Ibid. ;Hollander David (B.), op.cit., p43.

²Précheur Canonge (T.), op.cit., p43.

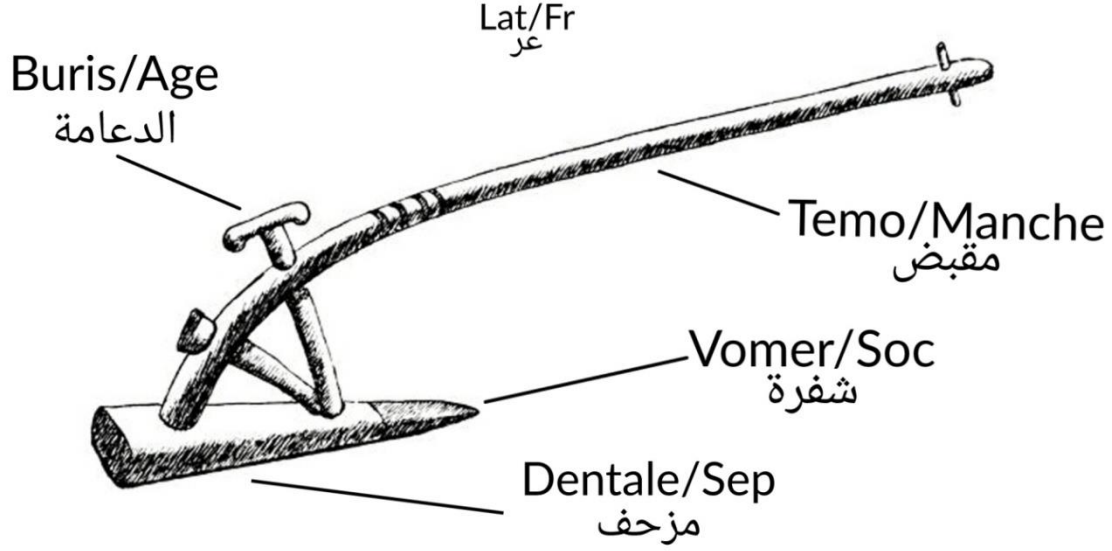
³Hollander David (B.), op.cit., p43.

(*) تمت الإشارة إليه في بعض النقاط في الفصل الأول، انظر اعلاه ص12 و13.

⁴ Camps (G.), « Araire », Encyclopédie berbère, no 6, 1^{er} janvier 1989, p.p844–848

⁵Précheur Canonge (T.), op.cit., p43.

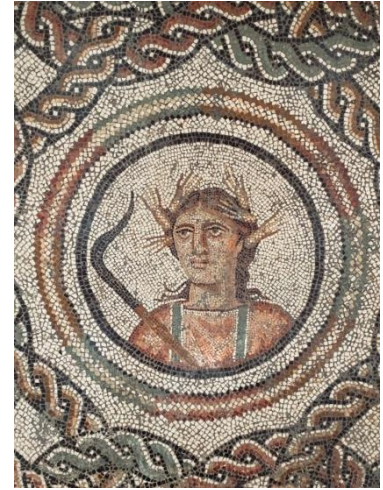
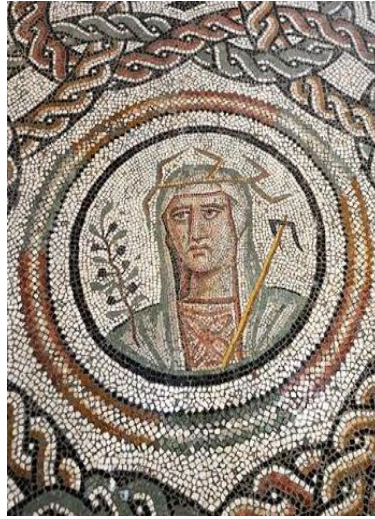
شرشال أيضا معاول ذو سنّين ومجرفة (Houe) استعملها العمال أمام أشجار الكروم¹، إضافة لظهور معول ذو سنّين باتجاه واحد في فسيفساء الفصول الأربعة (الشكل 15 ص 53).



الشكل (14): المحراث المسنن (Dentale) حسب فسيفساء شرشال. (عُدلت من طرف الطالب) المصدر: Bérard (J.), op.cit., p132.



الشكل (16): شفرة محراث روماني من المتحف الوطني للأثار القديمة. (من النقاط الطالب)



الشكل (15): جزأين من فسيفساء الفصول الأربعة توضح شخص يحمل معول ذو سنّين وآخر منجل.

المصدر: www.travelthewholeworld.com

¹ Bérard (J.), op.cit., p.p119-120 ; Hollander David (B.), op.cit., p43



الشكل (17): معولة حديدية من الفترة الرومانية.
المصدر: ميموني ليندة، النشاط الفلاحي لقائمة بدراسة مقتنيات المشرح الروماني و
حديثه، مذكرة ماستر، العلوم الإنسانية و الاجتماعية- علم الآثار، جامعة 8 ماي
1945، قالمة، 2017-2018، ص51

أما عملية البذر تتم مباشرة بعد الحرث، أي بعد مرور المحراث على الأرض وتشكيله تلك الأخاديد (Sillons)، تتبعه عملية وضع البذور كما وضحته سيفساء شرشال، أين تظهر شخص ثاني أمام الذي يقوم بالحرث يقوم بالبذر بتوزيعها عشوائيا على الأرض المحروثة تشبه تساقط الأمطار، وتبين القفة التي احتوت البذور معلقة على عنقه¹.

وبعد البذر تتبعه عملية حرث أخرى مختلفة عن الأولى لردم الحبوب بالتربة (Hersage) برفع المحراث على مستوى المقبض كي لا تغوص الشفرة في الأرض، ومن الواضح أنهم يجهلون استعمال المسلفة (Tribula/Herse) بما أنه تمت عملية البذر مباشرة بعد عملية الحرث²، ولم تظهر الأدلة الأثرية عن استعمالها في المنطقة المغاربية عكس بعض المقاطعات الخاضعة للإمبراطورية الرومانية في أوروبا وشرق البحر الأبيض المتوسط³.

2. أعمال الحصاد والدّرس:

¹Bérard (J.), op.cit., p119.

²Précheur Canonge(T.), op.cit., p.p45-46.

³سماح محمد الصاوي، المرجع السابق، ص193.

وهي عملية تقام في فصل الصيف لحصد ما تم زراعته في الفصول السابقة، باستعمال أدوات الحصاد وعلى رأسها المناجل (Faucilles) المصنوعة بالحديد تحتوي على شفرة طويلة منحنية تعمل على قطع سيقان الحشائش والمزروعات، وقد كشفت فسيفساء مدينة الشابة (La Chebba) (الشكل 19 ص 57) عن طريقة القيام بعملية الحصاد باستعمال المنجل حيث صورت شخص يحمل هذه الأداة مع كومة من السنابل في يده اليسرى، وعبيد يقوم بجمع أكوام من السنابل التي تم حصدتها في قفة ليتم نقلها بعد ذلك إلى الميدان الذي تتم فيه عملية الدرس (Dépiquage ou Battage)¹.

أما مرحلة درس المحاصيل فقد صورتها فسيفساء زليتن (Zliten) (الشكل 18 ص 56)، حيث تمت على الهواء الطلق أمام منزل أو إقامة مالك الضيعة وهي امرأة تجلس على مقعد وتراقب عمالها وعبيدها الذين يدرسون باستعمال الحيوانات، أين تظهر حصانين في حالة هؤل يدوسون على السنابل والمحاصيل لفصلها عن سيقانها، بالإضافة إلى وجود ثورين يقومان بنفس العملية في الخلف، كما أشارت أيضا المصادر الكتابية لهذه المراحل الزراعية على غرار كولوميل (Columelle) (4م-70م)². ومن الواضح أن مجموعة الفسيفساء الزراعية لا تظهر استعمال المسلفة (Tribula/Herse) أو المزلاج (Traha) اللذان يسهلان أعمال الدرس أكثر من الطرق السابقة، فقد استعمل أيضا القدماء الوسائل البسيطة كالعصى للدرس³.

بعد هذه العملية يتم تنظيف ونزع بقايا القش من الحبوب المدروسة وكذا الغبار والتراب العالق فيها وذلك بطريقة مازالت حتى يومنا تستعمل وهي التذرية (Vannage)، حيث يتم رمي الحبوب عاليا للتخلص من البقايا التي تفصلها الرياح، وللإشارة هذه العملية لا تظهر

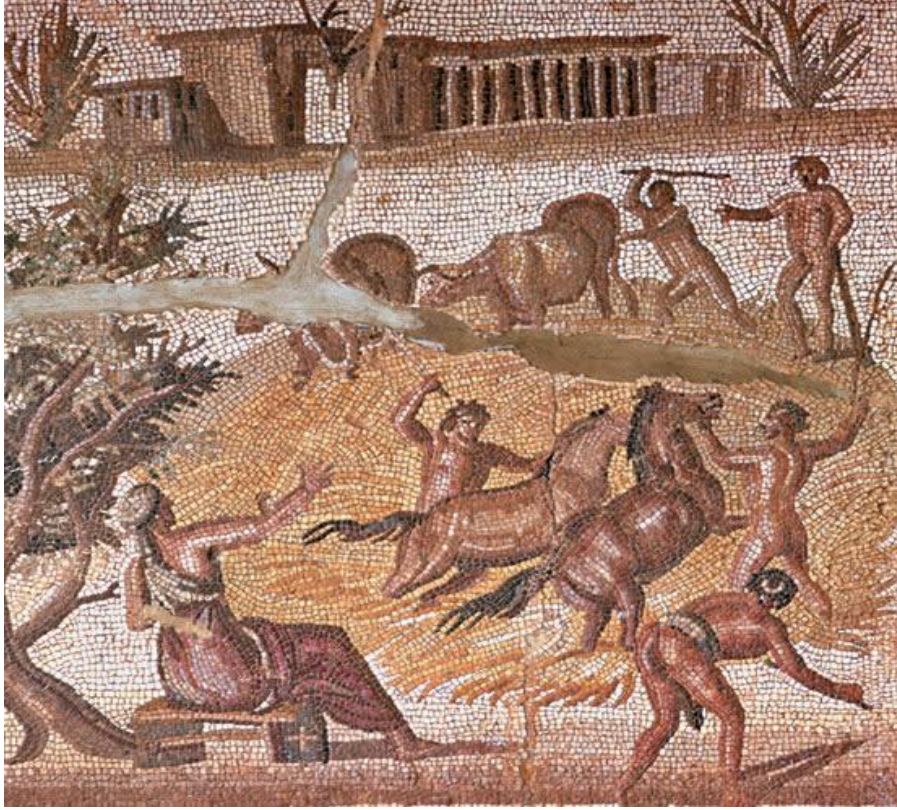
¹Prêcheur Canonge (T.), op.cit., p.p46-47.

²أشار كولوميل (Columelle) (4م-70م) لمراحل الحصاد والدرس في كتابه "الاقتصاد الريفي" (L'économie rurale) حين قال: "بعد عملية الحصاد وقطع السنابل بالمنجل، يتم جمعها وحفظها في مخازن أو في العليات (Greniers) التي يتم فيها الدرس عند هطول الأمطار، وأحيانا توضع مباشرة على حجر الرحي (Meule)، بعد التجفيف تتم عملية درس الحبوب باستعمال الحيوانات، وبدون شك يُفضّل الاستعانة بالأحصنة أكثر من الثيران."، انظر:

-Columelle, De l'Économie rurale, T.I, Traduit par M. Luis du Bois, C.L.F. Panckoucke, Paris, 1845, XXI, II.

³Prêcheur Canonge (T.), op.cit., p47.

على الفسيفساء¹، لكن تم ذكرها في المصادر الكتابية حيث أشار إليها كولوميل (Columelle)²، ثم تأتي مرحلة جمع التبن وبقايا القش (Fenaison) باستعمال المذراة (Fourche à foin) التي تصنع من الخشب أو الحديد، وللاشارة هذه المرحلة غائبة عن مشاهد الفسيفساء الإفريقية³



الشكل (18): فسيفساء زليتن لأعمال دَرَس الحبوب بالحيوانات.
المصدر: www.revistalaocaloca.com/2011/06/laesclavitude-en-roma/

¹Ibid., p48.

²أشار كولوميل إلى عملية التذرية (Vannage) في كتابه "الاقتصاد الريفي" (L'économie rurale) حين قال: "عند إنهاء عملية الدرس تتم بعد ذلك عملية التذرية عندما يكون القمح مليء ببقايا القش. أفضل فترة للقيام بها هو فصل الخريف، الذي تكون فيها الرياح مناسبة للعملية، فيتم رمي الحبوب المدروسة في الهواء لتنظيفها من العوالق، قبل أن يفاجئهم برد الشتاء."، انظر:

-Columelle, XXI, II.

³Précheur Canonge (T.), op.cit., p42 ; Hollander David (B.), op.cit., p46.



الشكل (19): فسيفساء انتصار نبتون و الفصول الأربعة توضح بعض مراحل عملية الزراعة والحصار.
المصدر: www.bardomueum.tn/index

3. استغلال الحيوانات:

استعمل الرومان في المنطقة المغاربية عدة أنواع من الحيوانات بهدف استغلالها في الأعمال الزراعية، تتصدرها الثيران التي ظهرت في عدة مشاهد للحرث في الفسيفساء أين تقوم بعملية جر المحراث (Attelage) (الأشكال: 11 ص 43, 13 ص 51, 20 ص 59)، وتظهر الحارث يسند يده على الدعامة لتغوص بشكل جيد وتحثر بعمق، فالثيران مربوطة بمقبض المحراث على مستوى النّير (Jugum) الذي يكون على مستوى عنق الثورين ويفصلهما عن بعضيهما كما تم الإشارة إليه سابقاً¹، لم يتوقف دورها في الحرث فقط، فقد تم الاستعانة بها في عمليات دَرَس الحبوب التي أظهرتها فسيفساء زليتن، ومن الخلف يأتي العمال والعبيد محملين بالعصى لضرب الدّواب من أجل أن لا يتوقفا عن العمل (الشكل 18 ص؟؟)، كما يمكن استخدام الأحمررة والبغال أحيانا مكان الثيران².

إلى جانب هذه الحيوانات تم استعمال الخيول التي تمثل عنصرا أساسيا في الحياة اليومية للمنطقة، والتي استعملت في عملية دَرَس الحبوب أين وضحت نفس الفسيفساء السابقة خيلين يقومان بهذه العملية أمامهما شخصان بنفس المواصفات حيث يحملان عصي لتحويل الحصانين، ويرجح أيضا استعمال الأحمررة والبغال في هذه الأعمال رغم عدم ظهورها في مشاهد الحرث والدَرَس³.

وإلى جانب استغلالها في الأعمال الزراعية فقد تم الاهتمام بها لكي يكون أدائها في الحقول إيجابيا، بحيث إسطبلات الخيول والثيران صممت لتكون فيها تهوية جيدة، مما يضمن راحة ونظافة الحيوانات ومحيطها، وتم وضع أحواض المياه والمساحات المخصصة لوضع العلف لها في مكان مرتفع، وتم ربط هذه الحيوانات بشكل منفصل لتجنب الصراعات بينها على الغذاء، وتضيف فسيفساء زليتن مشاهد رعي لماعز وخراف إضافة إلى تربية الدواجن،

¹انظر أعلاه ص50.

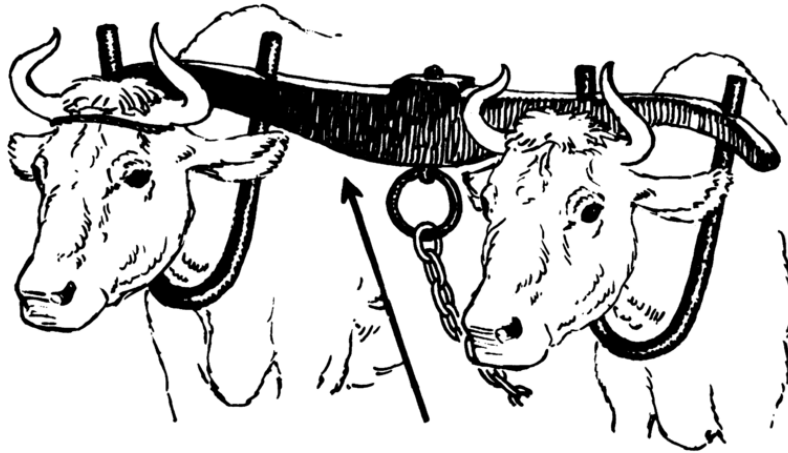
²Hollander David (B.), op.cit., p43.

³Précheur Canonge (T.), op.cit., p44.

ما يشكل لوحة تجمع بين جميع عناصر الحياة الريفية¹



الشكل (20): فسيفساء أوضنة للأعمال الريفية
المصدر: Cristina Amandine (et d'autres), op.cit., p.p25-37



الشكل (21): رسم توضيحي للنير (Jugum)

¹Cristina Amandine (et d'autres), « La conformation des equitii de l'Afrique romaine d'après les sources textuelles et les mosaïques », Les « salles à auges » : Des édifices controversés de l'Antiquité tardive entre Afrique et Proche-Orient, Collection de la Casa de Velázquez (in French), Madrid, 2022, p.p25-37.

II. عملية السقي:

تعتبر عملية السقي من العوامل الأساسية التي ساهمت في التوسع الزراعي واستمراريته، فالظروف المناخية لشمال إفريقيا التي تتميز بتذبذب التساقط على مدار السنة ومواسم الجفاف التي تتعرض لها المنطقة، دفعت الإمبراطورية الرومانية إلى إنشاء منظومة للري وفق آليات تعمل على استغلال المياه من مختلف مصادرها الطبيعية، وتمثلت في مجموعة من المنشآت المائية هدفها التخزين والتوزيع بطريقة منظمة على مختلف الحقول والأراضي الزراعية، وهي كما يلي:

1. منشآت التحكم والتجميع:

كشفت الدلائل الأثرية عن الكثير من هذه المنشآت في مختلف المواقع الأثرية خاصة الإقليم الأوراسي في الجزائر ومدينة النفيضة (Enfidha) في تونس¹، وتتمثل فيما يلي:

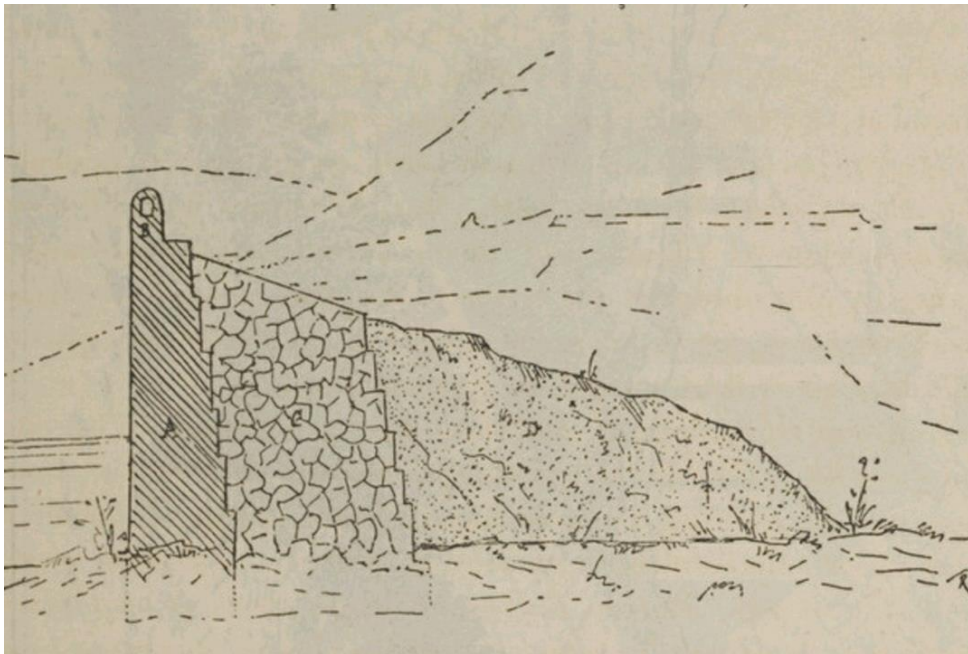
أ- السدود:

تم تشييدها في مخائق وفجاج الوديان المتواجدة في سفوح الجبال، وهي المواقع المناسبة لتغذيته بالمياه لكثرة المجاري المائية فيها، وقد عثر على بعض البقايا من هذه السدود في عدة مناطق حيث تتركز بشكل خاص في المنطقة الأوراسية منها موقع سد وادي عقيل قرب قرية إغمراسن بطول 1000م وجدار بسمك 6 أمتار وبقايا في منطقة الحضنة تحديداً وادي لقمان لمجموعة من السدود في كل من فقيس، جساسيا، رومان ولمزورية، وتحتوي المنطقة على بقايا أخرى لسدود موزعة ومتفرقة على طول وديانها².

كما شيّد الرومان مجموعة من السدود في الشرق التونسي تحديداً في مدينة النفيضة (Enfidha) وما جاورها على طول وادي الخيرات منه سد كاستيلا (Kastela) الذي يصل سمك جداره إلى 3 أمتار وارتفاع من 6 إلى 8 أمتار بحيث صنع من مواد تجعله يتحمل ثقل

¹محمد البشير شنيّي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المرجع السابق، ص108.
² نفسه، ص.ص107-108.

وقوة المياه التي يحبسها في الحوض¹ (الشكل 12 ص61)، وبناء السدود امتد لغاية الغرب التونسي قرب الحدود الجزائرية تحديدا في مدينة القصرين (Cillium) على وادي الدَّرب الذي يصل طول سدوده إلى 10 أمتار وسمك جدرانها بحوالي 4 أمتار أما طولها فيصل إلى 150 مترا، وتحتوي أسفلها ومخارج للمياه الفائضة أو مخارج للتوزيع²، ومن القصرين امتد إلى الشرق الجزائري ليصل إلى إقليم الأوراس الذي عرفت فيه توسيع كبير لشبكة الري كما تم الإشارة إليه سابقا³.



الشكل (22): مخطط لسد في منطقة وادي الخيرات في تونس.

المصدر:

Du Coudray René-Marie (La Blanchère), l'aménagement de l'eau et l'installation rurale dans l'Afrique Ancienne, Imprimerie Nationale, Paris, 1895, p39.

¹ Du Coudray (R.-M)., p39.

² شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)، المرجع السابق، ص211.

³ انظر اعلاه ص 29.

ب- الآبار:

فرغم صعوبة حفرها وتشبيدها إلا أن الاكتشافات الأثرية أحصا العديد من الآبار في منطقة شمال إفريقيا خاصة منطقة زغوان (Zaghouan) التي تم فيها إحصاء 119 بئرا تتراوح أعماقها ما بين 4 أمتار إلى 56 مترا وأقطار ما بين متر و3 أمتار، إضافة إلى مجموعة كبيرة من الآبار في مناطق متفرقة من منها في إقليم المجردة (Medjerda) والإقليم الأوراسي، فالبرغم من محدودية فعاليتها والطاقة الكبيرة المطلوبة لحفرها لذلك العمق، إلا أن الرومان استخدمها للاستفادة من المياه الجوفية والتي مازالت بعضها تحتوي مياهها إلى الآن¹، ومن بين الآبار التي تم اكتشافها في الأوراس نذكر كل من بئر تهودة (Tahouda)، بئر الخادم، آبار ليوة، آبار اللّفة بطولقة (Tolga) وآبار القمعة وغيرها. ومن الملاحظ أن عدد الآبار تتزايد كلما ابتعدنا عن الحبال واتجهنا للمناطق الجافة².

ج- الصهاريج:

هي أحد المنشآت التي تعمل على تخزين واستغلال مياه الأمطار على السطح وتأخذ شكل أسطواني، وتقام أسفل المنحدرات بحيث يعتبر كسد بسيط لحجز المياه الجارية وتوجيهها إلى خزانات أوسع، وتصل أقطارها إلى حوالي 40م×50م كما هو الحال للخزان الريفي الذي يدعى "ماجن سماوي" في قفصة بتونس والمجهزة هي وصهاريج أخرى بخزانات أمامية لترسيب الحصى والعوالق وأيضا للتحكم والتوجيه³.

كما توجد صهاريج ذات أبعاد أقل كالتالي تم اكتشافها في موقع قصر السلطان ضواحي الشلف بطول 15 متر وعرض 10 أمتار، ويبلغ ارتفاعه حوالي 1.20 متر متصل بمجموعة من القنوات الناقلة (Aqueduc)، وتم بناءه باستخدام الجير الهيدروليكي (Chaux

¹محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص.ص108-109.
²السعيد تريعة، الزراعة و الرّي جنوب الأوراس في الفترة القديمة من خلال المخلفات الأثرية، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة أبو قاسم سعد الله، الجزائر، 2015-2016، ص.ص101-102.
³محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص.ص109-110.

(Hydraulique) الممزوج بالإسمنت والأحجار الصغيرة¹، وهدف هذه الصهاريج هو تخزين المياه تحضيراً لأي تقلبات مناخية كفترات الجفاف الموسمية أو المستمرة، وبالتالي تعتبر منشآت احتياطية².

2. منشآت التخزين والتوزيع:

في نفس سياق البقايا الأثرية، تم اكتشاف عدة مخلفات لأبنية ومنشآت خاصة بعملية التخزين والتوزيع تمثلت في عدة أشكال وهي كما يلي:

أ- قنوات النقل (Aqueduc):

وهي قنوات تعمل على نقل المياه من منشآت التجميع إلى أماكن استغلالها، وشيّدت بهندسة متقنة حيث صممت على شكل جسور مرفوعة بأقواس عند اجتيازها للأودية والمنخفضات وتُشَقُّ لها أنفاق إذا واجهتها تلال ومرتفعات³. (الشكل 23 ص 64).

تم العثور على العديد من هذه القنوات من بينها قناة القصور (Tubusuctu) في منطقة القبائل التي يغذيها واد أميزور مصنوع عن كريق كتلة من الأحجار (Massif de maçonnerie) يتكون من مواد صغيرة ممزوجة بملاط جيرى هيدروليكي (Mortier Hydraulique)^(*) وتمتد على طول 600م تؤدي إلى خزان للمياه حسب البقايا الأثرية⁴، كما توجد القناة الكبرى التي تزود سيرتا في الإقليم القسنطيني بالمياه، وقد حافظت على أقواسها، أما أكبر وأطول قناة فتقع في مدينة شرشال بطول 40 كلم، كما توجد قنوات في المنطقة الأوراسية نذكر منها قناة كويكول (Cuicul) في جميلة التي تزود هذه المدينة بالمياه

¹Gsell (S.), Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie, imprimerie nationale, paris, 1902, p.p29-30.

² محمد البشير شنيّتي، المرجع السابق، ص110.

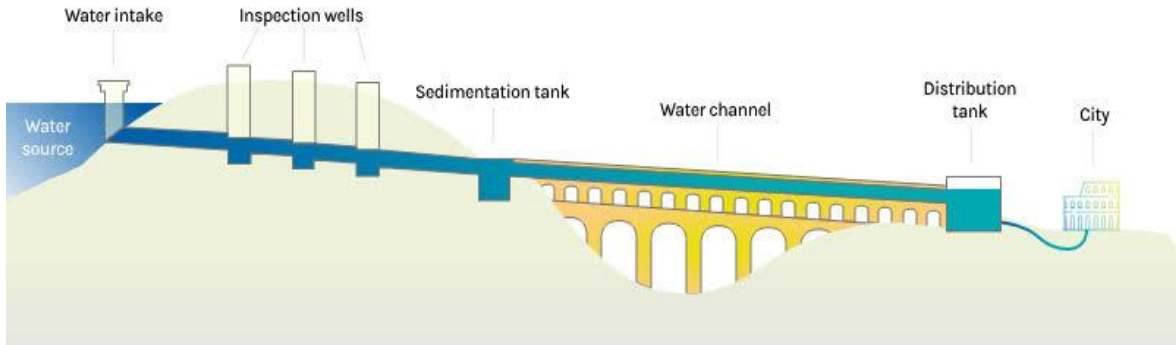
³ محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص109.
(*) يسمى أحيانا بالإسمنت الروماني، هو عبارة ملاط جيرى مع إضافة أجزاء من الطين المعماري الذي يعطي الخصائص الهيدروليكية للمادة، انظر:

- Buttner Stéphane (2020), France de l'Antiquité a l'époque moderne : Heritage ou reinvention permanente ? Édition des travaux historiques et scientifiques,

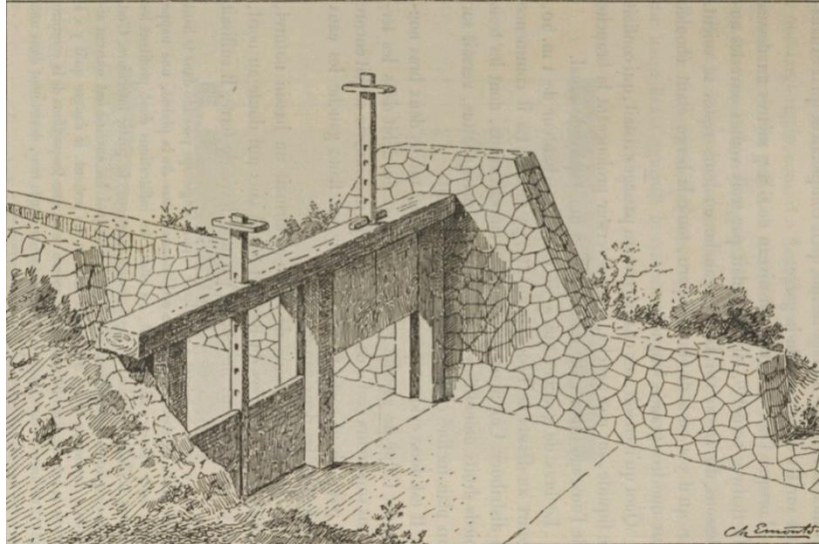
<http://doi.org/10.4000/books.cths.10932> consulte le 30/08/2024.

⁴Gsell (S.), op.cit., p.p39-40.

لمختلف الاستعمالات من نشاطات حضارية وريفية، شُيّدت بقطع الأحجار المنحوتة (Pierres de tailles) ذات 75 سم ويصل عرضها إلى 30 سم وتتميز هذه القنوات بالصلابة كونها دعت بأسوار (mûrs de soutènement)¹، وهذه القنوات تحتوي على حواجز (Martelières) للتحكم بالماء المتدفق تشبه صمام وهي بأبواب تفتح للأعلى لتوزيع كمية من المياه كما أظهرته بقايا منطقة وادي الخيرات في تونس. (الشكل 24 ص 64).



الشكل (23): قناة ناقلة للمياه تبين كيفية بنائها في مختلف التضاريس.
المصدر: www.gruppo.acea.it/en/stories/sustainability-territory/



الشكل (24): بوابات التحكم بالمياه (Martelières).
المصدر: Du Coudray (R.-M), op cit., p39.

هذه القنوات كلما كان عرضها أكبر كان التدفق أكبر، فلكل 10 سنتمترات تصرف 5 لترات في الثانية أي 432م³ في اليوم (24 ساعة)، أما القنوات الكبرى التي تصل لحوالي

¹Gsell (S.), op.cit., p.p41-42.

80 سم فيمكن أن تصرف 40 لترا في الثانية أي ما يعادل 3456م³، كما وُجدت أحد أكبر القنوات في خنشلة مقارنة بمتوسط الأحجام المعروفة في شمال إفريقيا بطول 1.70 متر وعرض 60 سنتيمتر وتصرف حوالي 6812م³ يوميا وهي قناة تحتية (Aqueduc sous terrain)¹.

ب- خزانات الحفظ:

وهي خزانات تحفظ مياه الأمطار والتي نقلتها سلفا القنوات السابقة، تتموقع في الأماكن المشرفة على الحقول والمزارع وقرب مراكز الاستهلاك الحضاري بهدف توزيع مياهها بسهولة²، وتدعى أيضا بالموزع المائي (Divisorium Castellum) ويحتوي بداخله عدة غرف وأولها تكون عبارة عن حوض للتصفية وإزالة الشوائب والعوالق على المياه³، ونذكر منها خزانات توكابور (Tokabor) في تونس بحيث تصل أبعاد بعضها إلى طول 45م وعرض 24،5م وبسعة حوالي 6500م³ من المياه، إضافة إلى خزانات الكاف (El Kef) بنفس المنطقة والتي قد يصل طولها إلى 81م وعرض 27م، وقدرة الاستيعاب هذه الهدف منها استغلالها في الشرب والسقاية، وتكثر في المناطق الجنوبية مثل الحضنة والجنوب الأوراسي إضافة إلى السهوب التونسية⁴.

ج- قنوات التوزيع والري:

تعتبر هذه القنوات كقنوات ثانوية عكس القنوات الناقلة، فوظيفتها إيصال المياه لمكان استغلالها بعد أن مرت من خلال المنشآت السابقة الذكر، وهي تتوزع على مجموعة من الشبكات تتخللها قنوات فرعية وقنوات التغذية الصغيرة التي تنتهي في مكان السقي كالحقول والمزارع أو في أماكن الاستهلاك الحضاري كالمدين، فبقايا هذه القنوات الفرعية تصبح

¹محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص112.

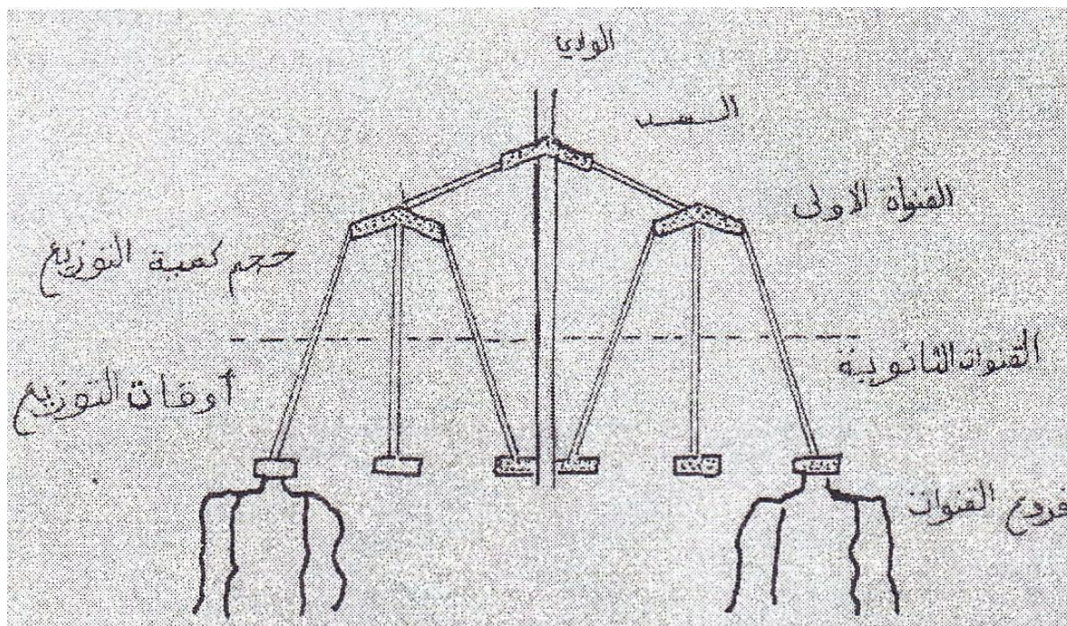
²نفسه، ص114.

³سعاد سليمان، منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص.ص42-43.

⁴محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص.ص114-115.

واضحة نسبيا من خلال التصوير الجوي، وتعتبر منطقة جنوب الأوراس أكثر المناطق اشتمالا على البقايا الأثرية لشبكات الري الرومانية¹.

أما نظام الاستفادة من هذه المنشآت المختلفة فهو يعتمد على قوانين وتشريعات تعمل على تنظيم واستغلال عملية الري وفق مدة زمنية معينة وكميات محدودة ينص عليها المشرع الروماني في بنود هذه القوانين، والتي تعرّفنا على العديد منها من خلال وثيقة لاماصبا (Lamasba) التي ذكرناها في الفصل الثاني².



الشكل (25): نظام توزيع المياه بشبكة القنوات الرئيسية، الثانوية والفرعية. المصدر: سعاد سليمان، منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، مجلة الدراسات الأثرية، مج7، ع1، 2009، ص57.

III. المنتجات الزراعية:

1. القمح:

¹Shaw Brent D. Water and society in the ancient Maghrib : technology, property and development. In : Ant. af., 20,1984, p168 ; Troussset Pol. De la montagne au désert. Limes et maîtrise de l'eau.. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°41-42, 1986. Désert et montagne au Maghreb, p98 ; محمد البشير شنيّتي، المرجع السابق، ص115.

²انظر أعلاه ص29

يعتبر القمح الإفريقي حسب بلين ذات جودة ووفرة بحيث تصل سنبله واحدة إلى ما بين 100 و 150 حبة¹، وذلك راجع للخصائص المناخية المميزة لإفريقيا وانتشار شبكات الري إضافة للمناطق الخصبة التي تتمتع بها².

إنتاج القمح في المنطقة المغاربية يعود للفترة ما قبل الرومانية بحيث حققت تطور زراعي وإنتاجي كبيرين في عصر الملوك النوميديين خاصة في عهد ماسينيسا، وكما أشرنا إليه سابقا أصبحت المملكة أهم ممون لروما بالقمح حيث تجاوزت كمياتها 150,000 قنطارا من هذه المزروعات³.

تضاعف احتياج روما للقمح في العهد الإمبراطوري خاصة في فترة حكم أغسطس (Agustus) (27ق.م-14م) الذي وزّع كميات كبيرة للشعب، ما جعل هذا المنتج يصبح أكثر قيمة مع مرور الزمن، وارتفعت نسبة القمح الإفريقي المشحون إلى روما ارتفاعا كبيرا في عهد الإمبراطور نيرون (Néron) (54م-68م) حيث بلغت ثلثي (2/3) احتياجات روما من القمح⁴.

في القرن الأول ميلادي لجأت الإمبراطورية إلى فرض زراعة القمح لأغراض سياسية أحد أهدافها البقاء في الحكم، كما فعل أغسطس بتقديمه القمح للشعب مجانا حيث بلغت مليون مدّ (Moddii) كل شهر والذي كانت إيطاليا عاجزة عن إنتاجه، فالاضطرابات الاقتصادية التي أصابت الإمبراطورية خاصة مع انخفاض نسبة إنتاج القمح دفعت روما إلى توسيع رقعة مزارع وحقول الحبوب على حساب مساحات الكروم والزيتين، وهي السياسة التي دفعت الإمبراطور دوميتيانوس (Domitianus) (81م-96م) إلى حد منع غرس الكروم وحتى قلعها⁵، وأقامت السلطات جهازا كاملا لتزويدها بالقمح الإفريقي والذي يعرف بجهاز

¹ Pline XVII, III, 5.

² Ibid., XVIII, II, 22.

³ انظر اعلاه ص9.

⁴ محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص86.

⁵ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص206.

الأنونة (Annonae) يضمن جمع، تخزين ونقله لروما من السهول الكبرى وسهول الأمبوريا وكذا تلال سيرتا والأماكن التي تتركز فيها زراعة القمح في شمال إفريقيا¹.

وتواصلت سياسة زراعة النوع الواحد خلال فترة تراجان (Trajan) (98م-117م) وذلك بتكثيف الجهود وتسخير الإمكانيات لحرثة مناطق إفريقيا بهدف إنتاج كميات أكبر نظرا لجودته وصلابته، فهذا الاهتمام والهوس بالقمح الأفريقي أوصل هذا الإمبراطور إلى حد إصدار قانون يمنع من زراعة الكروم ما عدا تعويض القديمة منها²، وقام الإمبراطور نيرون بإعفاء سفن شحن القمح من الضرائب بينما الإمبراطور كومودوس (Commodus) (180م-192م) قام بإنشاء أسطول خاص لنقل قمح شمال إفريقيا إلى روما والذي عُرف بالأسطول الأفريقي (Clasis Africana)³،

وللإشارة للكميات التي تنتجها إفريقيا فإنها بلغت في بداية العهد الإمبراطوري في فترة حكم أغسطس (27ق.م-14م) 40 مليون مدّ (Moddii) ما يعادل 3.200.000 هيكتولتر من القمح والشعير ونصف هذه الكمية تجلب من مصر⁴، بينما بلغت حسب بيكار (Picard) حوالي 9 إلى 10 ملايين قنطار خلال فترة حكم نيرون وهو رقم ضخم مقارنة بعهد قيصر⁵.

أما بخصوص تحضيره واستعمالاته فقد كشفت الدلائل الأثرية عن بقايا للوسائل المستعملة في عملية الطحن، ونذكر منها المطاحن اليدوية الصغيرة التي تسمى أحجار الرحي (meule) التي حُفظت بعض عيناتها في متحف عنابة، كما توجد المطاحن التي تعمل بالجر أو الدفع من طرف شخصين أو من كرف حيوانات كالأحصنة أو الثيران، وعثر على العديد منها في تهودة (Tahouda) ضواحي بسكرة (الشكل 26 ص 69)، وإلى جانب هذه الأنواع توجد الطواحين المائية (الهيدروليكية) التي تُشيد على مستوى المجاري المائية كالوديان ولم

¹محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص.ص98-99.

²أحمد أنديشة، الإمبراطورية الرومانية والقمح الإفريقي، مجلة البحوث الأكاديمية، ليبيا، 2018، ص441.

³نفسه، ص444.

⁴Lacroix (F), Afrique Ancienne (produits végétaux) ,R.Af , 13 éme Année, N° 76, 1869, p83.

⁵ Picard (Gilbert Charles.),La civilisation de l'Afrique Romaine, librairie Plon, Paris, 1950, p.p69-71.

يعد لها وجود¹. بعد عملية الطحن يتم استعماله بعدة طرق منها تحضير الخبز وتغذية حيواناتهم الرعوية²، إلى جانب تموين مدنها وجيشها.



الشكل (26): طاحونة يدوية (أعلى)، طاحونة ذات الدفع الثاني (أسفل).
المصدر: سهام حداد، سلسلة موانئ الشرق الجزائري القديمة (دراسة تاريخية وصفية اعتمادا على المصادر المادية المحلية)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص 117 ; السعيد تريعة، المرجع السابق، ص 140.

2. الزيتون:

تعود زراعة الزيتون في المنطقة المغاربية، إلى ما قبل الرومان، فبعد أن كان المحليون البربر يستخرجون الزيت من الزيتون البري (Oléastre) تمت عملية تطعيمها

¹السعيد تريعة، المرجع السابق، ص.ص 139-141.

²Collumille, II, IX.

(Greffage) وتنظيم زراعتها مع المحليين من طرف الوافد الفينيقي¹، وقام الرومان بتطوير زراعة هذه الشجرة لأغراض سياسية واقتصادية².

في منتصف وأواخر الفترة الإمبراطورية زاد الطلب على مادة الزيت توازياً مع انخفاض إنتاج القمح أو تدهوره والذي قد يكون بسبب موجات الجفاف التي تعرضت لها المنطقة، وما يزيد هذه الاضطرابات تفاقماً هو ارتفاع عدد السكان والقدرة الاستهلاكية، وكانت إفريقيا مطالبة بتزويد السوق الرومانية بالقسط الأوفر³، لاسيما أن هذه المادة تدخل في القاعدة الغذائية الأساسية مع الحبوب للسكان المحليين والرومان، ويستعمل في عدة أمور كالطبخ والعلاج، وبهذا أصبحت المواد التي تزود بها إفريقيا نظيرتها روما لا تقتصر فقط على الحبوب، فقد أخذت مادة الزيتون مكانة أساسية أواخر القرن الثاني نظراً لتعدد استخداماتها وقيمتها التجارية⁴.

أما بخصوص عمليتي الطحن والعصر فقد تم العثور خلال الاكتشافات الأثرية على العديد من بقايا معاصر ومطاحن الزيتون منها المحلية (الأمازيغية)، كالتي تم العثور عليها في بني فراح في منطقة الأوراس (الشكل 28 ص 72)، كما توجد المطاحن الرومانية التي عثر عليها في منطقة مداوروش (Madaure) (الشكل 29 ص 72)، وللإشارة فإن المطاحن تقوم فقط بعملية فصل اللب عن النواة وكذا نزع السوائل المرّة التي تسمى بالأموركا (Amurca)، ثم تأتي تاليا عملية العصر بتقنيات أخرى ووسائل تتمثل في معاصر الزيتون التي يكمن دورها في استخراج الزيت من العصيدة المتبقية⁵، ويوجد أنواع من المعاصر ونذكر منها المعصرة الرومانية ذات أثقال الموازنة (Contrepoids) في منطقة الأوراس (الشكل 27 ص 71)، والتي تعمل وفق عملية الضغط العالي بقطعة غالبا تكون دائرية تسمى

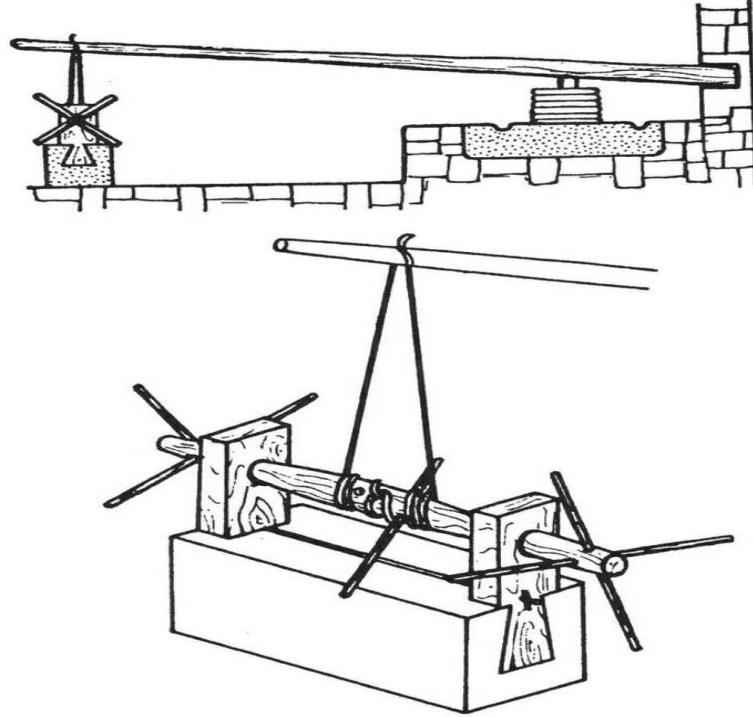
¹ غابريال كامبس، في أصول البربر: ماسينييسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 113.
² Prêcheur Canonge (T.), op.cit., p49.

³ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص.ص 91-92.

⁴ Prêcheur Canonge (T.), op.cit., p.48-49.

⁵ Leroy Jean-François. L'Olivier et l'Afrique romaine. In : Journal d'agriculture tropicale et de botanique appliquée, vol. 1, n°10-12, 1954, p488.

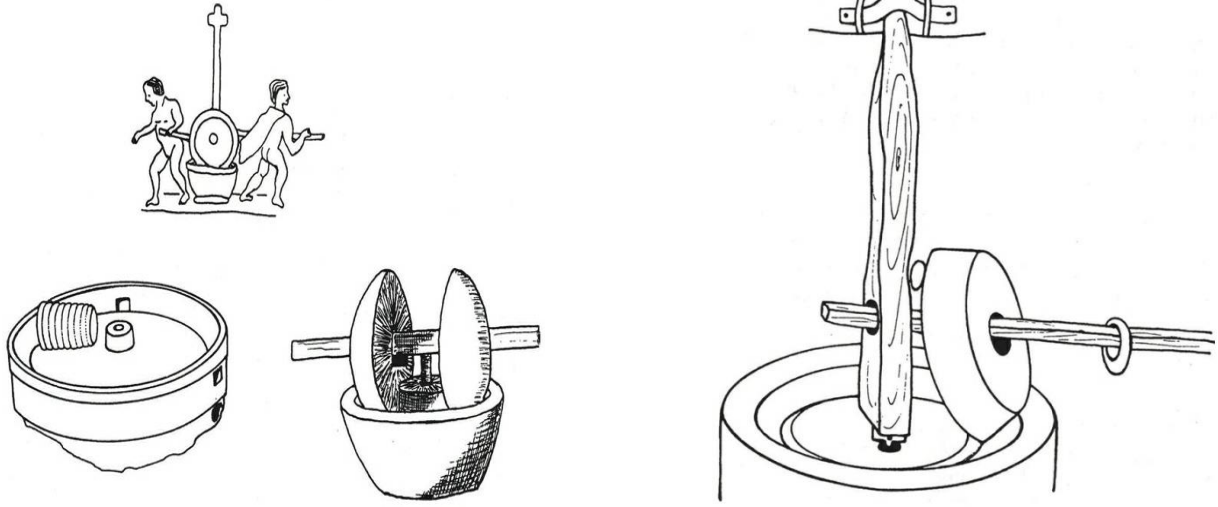
بالكابستان (Cabestan) مثبتة بقوة إلى أثقال موزونة¹، وهي منتشرة أكثر في الأوراس والجنوب التونسي.



الشكل (27): معصرة رومانية ذات أثقال الموازنة (Contrepoids) من منطقة الأوراس.
المصدر:

Camps-fabrer(H.), « Huile », Encyclopédie berbère , 23 | 2000, document H62. URL : <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/> 1613, consulté le 28/08/2024, para56

¹Ibid.,para38-56.



الشكل (29): أنواع من المطاحن الرومانية من مدينة
مداوروش (Madaure).
المصدر:
Ibid., para38

الشكل (28): مطحنة زيتون محلية من منطقة
بني فراح.
المصدر:
Ibid., para41

3. الكروم:

لم تكن زراعة الكروم بنفس القيمة التي حملها كل من القمح بالدرجة الأولى والزيتون تاليا، خاصة خلال القرن الأول أين كانت الحبوب تنصدر أولويات الإنتاج الزراعي الروماني¹، ويبدو أن عدم تعميم هذا النوع من الزراعة حمل رداءً سياسياً واقتصادياً من طرف السلطات الإمبراطورية، حيث كانت تهدف إلى حماية المزارعين في إيطاليا من منافسة إفريقية وكذا لحماية القمح²، إلى جانب ذلك فقد أوصلت ودفعت هذه السياسة السلطات الرومانية إلى القيام بإجراءات كمنع زراعة الكروم وكذا قلعها إن اضطرت في بعض المناطق خلال فترة حكم دوميتيان (Domitianus) (81م-96م) وتاراجان (Trajan) (98م-117م) كما تم الإشارة إليه سابقاً (*).

¹Lequément Robert, Le vin africain à l'époque impériale. In : Ant.af, 16,1980, p185.

²محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص103.

(*) انظر اعلاه ص67.

ويجدر الذكر أن ممارسة زراعة الكروم في إفريقيا سابقة للوجود الروماني، فقد كانت تُزرع من طرف القرطاجيين والمحليين، لاسيما أنها تم ذكرها في كتب ماغون (Magon) الزراعية، وتم التعرف على بعض من محتواه من خلال مؤلفات المؤرخين القدماء أمثال فارو (Varron)، كولوميل (Columelle) وبلين (Pline)¹.

ففي القرن الثاني بدأ ازدهار الزراعة الشجرية لدى الرومان فازدهرت معها زراعة الكروم وأصبحت عنصر مهم في الاقتصاد الإمبراطوري وفي سياساتها، حيث خصصت عدة بنود في تشريعاتها الزراعية التي تم التعرف عليها من خلال نقش هنشير ميتيش (Henchir Mettich)، حيث حثت على زراعة أشجار كروم جديدة وكذا إعفائها من الضرائب إذا تجاوز عمرها خمس سنوات^(*). كما خصصت بعدها بفترة قصيرة في نقش عين جمالة (Ain Djemala) بعض الأجوبة من طرف البروكوراتور (Procurator) الإمبراطوري حول طلبات السماح باستغلال الأراضي لزراعتها زيتونا وكروما^(*)، وتم الرد عليها إيجابيا².

إن مناخ إفريقيا مناسب لزراعة هذا المنتج، ووضحت الفسيفساء صورا للأعمال الحقلية الخاصة بالكروم تعود إلى القرن الثالث خاصة في فسيفساء شرشال (الشكل 13 ص 51) التي تبين عملية التهيئة أمام بساتين الكروم، كما وضحت فسيفساء أخرى في شرشال عملية قطف، جمع و نقل هذا المنتج (شكل 30 ص 75).

وتمر عملية صناعة النبيذ بعدة مراحل تبدأ من إعداد الكروم وإدارتها بعد عملية القطف، ثم يتم نقلها لمنشآت السحق كي تنقل تاليا إلى المعصرة لاستخراج لإنتاج النبيذ³.

¹Lequément Robert, op.cit., p.p185-186.

(*) انظر اعلاه ص.ص20-21

(*) انظر اعلاه ص20

²Ibid., p.187.

³Balmelle Catherine, Brun Jean-Pierre. La vigne et le vin dans la mosaïque romaine et byzantine. In : La mosaïque grégoromaine. IX – Colloque international pour l'étude de la mosaïque antique (9th : 2001 : Rome, Italy) Volume 2. Rome : École Française de Rome, 2005, p900.

يصعب التعرف على معاصر الكروم مع نظيرتها للزيتون من خلال البقايا الأثرية
فعمليتي عصر هاذين المنتجين مختلفة رغم تواجد عدة أوجه التشابه، فمثلا عناقيد الكروم
توضع مباشرة على المعصرة إن كانت بكميات كبيرة وإذا كان العكس تسحق فقط، وتحدد
الكيفية في حالة احتياج كميات كبيرة من النبيذ، إضافة إلى اختلاف حجم وسعة المعصرتين
بحيث معصرة الزيتون تتطلب قوة وضغط كبيرين على مساحة صغيرة (مكان وضع الزيتون
أو العصيدة) عكس معصرة الكروم ذات الأحجام الأوسع والتي لا تتطلب قوة كبيرة في عملية
العصر¹.

¹ Jean-Pierre Laporte, « Pressoir », Encyclopédie berbère, 38 | 2015, document P59.
URL : <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/3820>, consulté le
09/08/2024, p4.



الشكل (30): فسيفساء شرشال للأعمال الزراعية الخاصة بالكروم.
المصدر:

Balmelle Catherine, op.cit., p900

خاتمة

وفي نهاية هذه الدراسة المتواضعة والتي حاولنا فيها كشف النقاط الأساسية للسياسات والمنظومات الزراعية التي انتهجها الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا، يمكننا القول بأن هذا الموضوع يبقى مفتوحاً للدراسات توازياً مع الاهتمام الذي لقيه من طرف مختلف الباحثين ولا سيما تجدد الاكتشافات الأثرية في السنوات الأخيرة التي من شأنها أن تشرع في تطوير الدراسات في هذا المجال وإضافة مفاهيم ومعارف حديثة، إضافة إلى أن بعض الدلائل التي لا تزال مغمورة بالتراب، والتي قد تنصف تاريخ المنطقة من جدال قائم على عدة نقاط، فالتعقيد الذي يطال هذا الموضوع في عدة جوانبه لم يمنعنا من استخلاص جملة من النتائج:

أكدت عدة دراسات وأبحاث من مختلف التخصصات المتعلقة بالمجال الفلاحي انطلاقاً من المصادر الأثرية كالأدوات الحجرية والرسومات الجدارية بأن السكان المحليين لشمال إفريقيا (الأمازيغ) قد مارسوا النشاطات الزراعية منذ عهود قديمة، حتى وإن صَعُب إثباتها في الأزمنة ما قبل التاريخية إلا أن الاكتشافات الحديثة حملت أدلة واضحة ومؤكدة لقدم هذا النشاط الذي يسبق الوجود الفينيقي بفترة طويلة.

إن التطور الزراعي الذي عرفه الرومان في بلاد المغرب لم يكن من نقطة الصفر، بل كان له دور محلي وقرطاجي، والذي يكمن في تلك القاعدة المهيأة سلفاً لهذا الاحتلال، وذلك من خلال استغلال معارفهم وخبراتهم في المجال الفلاحي والاستفادة منها لفرض سياستهم، فقد وجدوا منشآت وأرضاً مستغلة واسعة وخصبة ذات إنتاج كبير وجودة كما تم وصفها من طرف المؤرخين القدماء الذي وصل لحد المبالغة.

وما لا شك فيه أن المصادر منها القديمة وكذلك الحديثة كانت مجحفة في وصف السكان المحليين ونشاطاتهم، إذ يبدو أن القدماء اتفقوا على حصرهم كسكان بدائيين بلا حضارة حيث تقتصر فقط على حياة رعوية ونظام غذائي بدائي، وهذا ما عارضته الدراسات الأثرية، ونستنتج بأن هذا الانحياز له دوافع استعمارية كفرض شرعية للاحتلال الروماني للمنطقة، وهو نفس المنهج والفلسفة التي استخدمها المؤرخين من الفترة الفرنسية لإضفاء طابع شرعي لغزو المنطقة، ومن هنا تم زرع فكرة "إن لم يكن فينيقي فهو روماني" بهدف القضاء عليهم ثقافياً.

إن النجاح الذي حققه المشروع الزراعي الروماني في إفريقيا خلال الفترة الإمبراطورية الأولى راجع إلى تخطيط محكم ذات أسس علمية، إذ شرع في تقسيم الأراضي بعملية الكنترة التي تعود بداياتها للعهد الجمهوري مباشرة بعد السيطرة على الجزء الشرقي لبلاد المغرب، وقامت السلطات الإمبراطورية بإصباح الأرض بالطابع القانوني بتحديد نظام الملكية وكذا نظام لجبايتها وفق عدة قوانين و مراسيم أشهرها قانوني مانكيانا وهادريانا اللذان تم التعرف عليهما من خلال ما استوحى من محتوى نصوص النقوش الأثرية التي عرفتنا على بعض مواده، والملاحظ أنه لم يتم العثور على النصوص الأصلية للاطلاع على المحتوى الكامل.

إن ملاك الأراضي غالبا ما يبقون بعيدين عن الأعمال الزراعية في حقولهم ولا يقومون بزراعتها بنفسهم إذ أن نظام تسير الأراضي والمستثمرات الزراعية يعمل وفق جهاز تسيير هرمي، من وكيل إلى طاقم إداري و كذا المزارعين المعروفين بالكولون (Colons) الذين يتكفلون بالجانب الميداني و غالبا لهم حق استئجارها، ونلاحظ جيدا في هذه الفترة أن طابع التأجير للأراضي غلب طابع استغلال العبيد الذين لا يملكون خبرة في المجال الزراعي، وهنا نلاحظ تغير سياسات الإمبراطورية وتطورها بحيث أسندت العملية الزراعية للمتكئين بهدف تحقيق ازدهار في الإنتاج.

إن السياسة التي انتهجها الرومان لم تخلو من المجادلات التي وردت في بعض نقاط النقوش الأثرية والتي تكمن في انتهاكات إدارة الأرض ومسيرها من الملتمزمين في حق المزارعين، وكذا فرض نظام ضرائبي تعسفي وسع الفجوة بين السلطة وشعبها، فمن خلال الأقساط المفروضة نرى الاستغلال المكثف لجهود المزارعين والانتهاكات التي تطالهم.

استخدم الرومان في إفريقيا مجموعة من الوسائل والأدوات الزراعية، فبالمقارنة مع مقاطعاتها الأخرى نلاحظ أنه تم تكييفها حسب المنطقة والظروف المناخية التي تجعل نوعية التربة مختلفة من رقعة لأخرى إذ يتحتم تغيير تصاميمها لتواكب تضاريس كل منطقة ومقاطعة من الإمبراطورية.

منهج التكيف مع التضاريس والمناخ امتد حتى لعملية السقي ومنشآتها، فكل شكل يتم تصميمه حسب مكان تشييده، وتواصل استغلال بعضها حالياً دليل على تصميمها الهندسي المتقن، كما لعبت دوراً أساسياً في تطور الزراعة في المنطقة، وكثرة الآثار في عدة مناطق من الشرق المغربي إلى غربه وإلى حدود الصحراء يوضح مدى اتساع الخريطة الزراعية خاصة في القرنين الأول والثاني.

إن تعدد منشآت الطحن والعصر من شأنه أن يعطي لنا فكرة واضحة عن مدى أهمية المنتوجات الإفريقية خاصة القمح، الزيتون والكروم.

وهذا الاهتمام الذي حظيت به الزراعة عند الرومان حمل طابع اقتصادي بالدرجة الأولى وسياسي بالدرجة الثانية، فهذا التوسع الزراعي في المناطق المغربية من شأنه أن يغطي احتياجات روما من مختلف المنتوجات لاسيما بعد ارتفاع عدد سكانها وتدهور الاقتصاد في روما، أما سياسياً فله دوافع توسعية استعمارية ظهرت طياتها في أعمال الكنترة التي كانت في البداية تشمل الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، وبعدها امتدت حتى الأراضي ذات التضاريس الوعرة كالبراري التي تعرف بالسالتوس (Saltus)، المنحدرات، الأحرش، المستنقعات... ما يؤكد إلباس هذه السياسة التوسعية حلة استعمارية.

الملاحق

1. الأشكال

2. الخرائط

فهرس الأشكال والخرائط

1. الأشكال:

الصفحة	الشكل
6	الشكل (01) : مشهد حرث، نقش صخري من أعزيبان'ايكيس
16	الشكل (02): محراث من المنطقة الأوراسية
16	الشكل (03): محراث من منطقة الريف
21	الشكل (04): نص مترجم للواجهة الأولى لنقش هنشير ميتيش
25	الشكل (05): نقش هنشير هنيش المكتشف حديثا
31	الشكل (06): افتراض للنقش الكامل للاماصبا
32	الشكل (07): نص مترجم لوثيقة لاماصبا
35	الشكل (08): علامة ترقيم للكنترة
36	الشكل (09): مخطط لأرض مكنترة
40	الشكل (10): فسيفساء طبرقة توضح إقامة لمالك مستثمرة في الريف
43	الشكل (11): نقش غيرزة (Ghirza) الجنائزي
44	الشكل (12): مخطط تقريبي لنظام تسيير المستثمرات (من إعداد الطالب)
51	الشكل (13): فسيفساء شرشال للأعمال الزراعية : مشهد حرث و بذر
53	الشكل (14): المحراث المسنن (Dentale) حسب فسيفساء شرشال. (عُدلت من طرف الطالب)
53	الشكل (15): جزأين من فسيفساء الفصول الأربعة توضح شخص يحمل معول نو ستين واخر منجل
53	الشكل (16): شفرة محراث روماني من المتحف الوطني للأثار القديمة. (من التقاط الطالب)
54	الشكل (17): معولة حديدية من الفترة الرومانية
56	الشكل (18): فسيفساء زليتن لأعمال دَرس الحبوب بالحيوانات
57	الشكل (19): فسيفساء انتصار نبتون و الفصول الأربعة توضح بعض مراحل عملية الزراعة والحصاد
59	الشكل (20): فسيفساء أوضنة للأعمال الريفية
59	الشكل (21): رسم توضيحي للنير (Jugum)
61	الشكل (22): مخطط لسد في منطقة وادي الخيرات في تونس
64	الشكل (23): قناة ناقلة للمياه تبين كيفية بنائها في مختلف التضاريس
64	الشكل (24):بوابات التحكم بالمياه (Martelières)
66	الشكل (25): نظام توزيع المياه بشبكة القنوات الرئيسية، الثانوية والفرعية

69	الشكل (26): طاحونة يدوية (أعلى)، طاحونة ذات الدفع الثنائي (أسفل)
71	الشكل (27): معصرة رومانية ذات أنقال الموازنة (Contrepoids) من منطقة الأوراس
72	الشكل (28): مطحنة زيتون محلية من منطقة بني فراح
72	الشكل (29): أنواع من المطاحين الرومانية من مدينة مداوروش (Madaure)
75	الشكل (30): فسيفساء شرشال للأعمال الزراعية الخاصة بالكروم

2. الخرائط:

الصفحة	الخريطة
11	الخريطة (01): حدود إقليم المملكة النوميديّة خلال فترة حكم ماسينييسا
24	الخريطة (02): مواقع أهم النقوش المتعلقة بالزراعة في إفريقيا
49	الخريطة (03): حدود المقاطعات الإفريقية خلال الفترة الرومانية

قائمة البيئيوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع

ا. المصادر:

1. بالغة الأجنبية:

- Columelle, De l'Économie rurale, T.I, Traduit par M. Luis du Bois, C.L.F. Panckoucke, Paris, 1845.
- Diodor de Sicile, Bibliothèque Historique, Traduit par Ferd Hoefler, T.III, 2^e édition, Librairie la Hachette, Paris, 1865.
- Diodor de Sicile, Histoire Universelle, Traduit par Abbé Terrasson, imprimerie de Quillau, Paris, 1737.
- Hérodote, Histoire, T.I, Traduit par Larcher, Charpentier/Libraire-éditeur, Paris, 1850.
- Plin L'ancien, Histoire Naturelle, édition d'Emile Littré, Dubochet, Paris, 1840-1850.
- Polybe, Histoire Générale, Traduit par H. Félix Bouchot, Charpentier/Libraire-éditeur, Paris, 1847.
- Polybe, Histoire Romaine, Traduit par Denis Roussel, Edition Gallimard, Paris, 1970.
- Salluste, la guerre de Jugurtha, les fragments de la grande histoire romaine, la conjuration de Catilina et les deux épître a César, Traduit par Charles Du. Rozoir, T.I, imprimerie de C.L.F.Panckoucke, Paris, 1835.
- Strabo, Géographie, Traduit par Amédée Tardieu, Librairie de la Hachette, Paris, 1867.

II. المراجع:

1. باللغة العربية

- ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان (من أقدم العصور حتى عام 133 ق.م)، ج1، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978
- أحمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، 1969.
- رستفتزف ميكائيل، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي و الاقتصادي، ج1، ترجمة و مراجعة زكي علي و محمد سليم سالم، النهضة المصرية، القاهرة، 1957.
- ستيفان غزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم: الممالك الوطنية نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ج5/ج7، ترجمة محمد التازي سعود، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007.
- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط5، تونس، 1983.
- صالح بن نبيلي فركوس، تاريخ النظم القانونية و الإسلامية، دار العلوم، عناية، 2014.
- غابريال كامبس، في أصول البربر: ماسينييسا أو بدايات التاريخ، تعريب و تحقيق محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010.
- ديزانج جيهان وكي.جي زيربو، تاريخ إفريقيا العام، مج1، إشراف جمال مختار، جين أفريك/اليونسكو، تورينو، 1983.
- محمد البشر شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة 146 ق.م/ 40 م، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر، 1984.

- محمد العربي عقون، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الأفريقي القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
- محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
- محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا (دراسة حضارية، من أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م)، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2013.

2. باللغة الأجنبية:

- Beaudouin (E.), les grands domaines dans l'Empire Romain D'après des travaux récents , Librairie de la société du recueil général des lois et des arrêts , Paris, 1899.
- Claude Briand-Ponsart, Christophe Hugonot, l'Afrique romaine : de l'Atlantique à la Tripolitaine (146av. J.-C – 533ap. J.-C, Armand Colin, Paris, 2006.
- Fournier De Flaix (E.), l'impôt dans les diverses civilisations, T.I, Librairie de la société du recueil général des lois et des arrêts, Paris, 1897.
- Gsell (S.), Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie, imprimerie nationale, paris, 1902.
- Hollander David (B.), Farmers and Agriculture in the Roman Economy, Routledge, London, 2019.
- Moscati (S.), The Phoenician, I.B. Tauris, 2001.
- Paul Petit, Histoire Générale de l'empire romain, le Haut-Empire (27an.J.-C. – 161ap.J.-C.), du Seuil, 1974.

- Précheur Canonge (T.), La vie rurale en Afrique Romaine d'après les Mosaïques, Publications de l'université de Tunis–Faculté des Lettres, in : Archéologie, Épigraphie, 1^{er} série, vol. 6, Presses universitaires de France, 1962.
- Reynier (L.), De l'Économie publique et rurale des Egyptiens et des Carthaginois, J.J.Paschoud, imprimeur-libraire, Genève-Paris, 1823.
- Yves Roman, le Haut-Empire Romain (27av. J.-C. – 235ap.J.-C.), Ellipses, 1998.

III. المقالات والدوريات:

1. باللغة العربية:

- أحمد أنديشة، الإمبراطورية الرومانية والقمح الإفريقي، مجلة البحوث الأكاديمية، ليبيا، 2018.
- خديجة منصور، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية و المصادر الأدبية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد، 23، عدد، 1، وهران، 2008.
- سعاد سليمان، منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، مجلة الدراسات الأثرية، مج7، ع1، 2009.
- سماح محمد الصاوي، أشكال أدوات الزراعة في العصر الروماني - دراسة أثرية، دراسات في آثار الوطن العربي، مج16، ع1، الإسكندرية، 2013.
- محمد الصالح العود، آليات السيطرة الرومانية على الأراضي الزراعية في بلاد المغرب القديم، مجلة قيس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية، مجلد 5، العدد 1، الجزائر، 2021.

2. باللغة الأجنبية:

- Balmelle Catherine, Brun Jean-Pierre. La vigne et le vin dans la mosaïque romaine et byzantine. In : La mosaïque grégoromaine. IX – Colloque international pour l'étude de

la mosaïque antique (9th : 2001 : Rome, Italy) Volume 2.
Rome : École Française de Rome, 2005.

- Bérard Jean. Mosaïques inédites de Cherchel. In : M.A.H, tome 52, 1935.
- Cagnat René. Inscription d'Henchir-Mettich. In : C.R.A.I, 41^e année, N. 2, 1897.
- Carcopino Jérôme. L'inscription d'Aïn-el-Djemala. Contribution à l'histoire des saltus africains et du colonat partiaire. In : M.A.H, t, 26, 1906.
- Carton (Dr.), la lex Hadriana et son commentaire par le procureur Patroclus , R.Ar., Paris, 1893.
- Carton (Dr.), Réflexions sur les inscriptions d'Aïn-Ouassel et d'Henchir-Mettich, R.Af., Paris, 1890.
- Chérif Ali (et autres). Les grandes inscriptions agraires d'Afrique : nouvelles réflexions, nouvelle découverte. In : C.R.A.I, 162^e année, N. 3, 2018.
- Chérif Ali (et d'autres), « Archéologie des domaines impériaux », Mélanges de l'École française de Rome – Antiquité, n°133-2, 1^{er} janvier 2021.
- Cuq Édouard. Le Colonat partiaire dans l'Afrique romaine, d'après l'inscription d'Henchir Mettich. In : C.R.A.I. Première série, Sujets divers d'érudition. Tome 11, 1^e partie, 1902.
- Despois (J.), La culture en terrasses dans l'Afrique du Nord, in : E.S.C, 11^{ème} année, N°1, 1956.
- Du Coudray René-Marie (La Blanchère), l'aménagement de l'eau et l'installation rurale dans l'Afrique Ancienne, Imprimerie Nationale, Paris, 1895.

- Hilali Arbia. Rome and Agriculture in Africa Proconsularis : Land and Hydraulic Development. In : R.B.P.H, tome 91, fasc. 1, Antiquité – Ouheid, 2013.

- Husawi, Salma Mohammed, « AGRICULTURAL LEGISLATION AND ITS IMPACT ON ECONOMIC CONDITIONS IN AFRICA DURING THE ROMAN ERA 146 BC- 284 AD, » Journal of the General Union of Arab Archaeologists : Vol. 3 : Iss. 1, Article 7, 2018.

- Kolendo Jerzy. Sur la législation relative aux grands domaines de l'Afrique romaine. In : R.E.A. Tome 65, n°1-2. 1963.

- Lacroix (F), Afrique Ancienne (produits végétaux) ,R.Af , 13 éme Année, N° 76, 1869.

- Lacroix (F.), Afrique Ancienne (procédés agricoles), R.Af, 1870.

- Lacroix (F.), Afrique Ancienne (produits végétaux) , R.Af., Volume13, 1869.

- Lequément Robert, Le vin africain à l'époque impériale. In : Ant.af, 16,1980.

- Leroy Jean-François. L'Olivier et l'Afrique romaine. In : Journal d'agriculture tropicale et de botanique appliquée, vol. 1, n°10-12, 1954.

- Leveau (Philippe), Occupation du sol, Géo systèmes et systèmes sociaux, Rome et ses ennemis des montagnes et du désert dans le Maghreb antique, in : E.S.C, 41éme Année, N °6,1986.

- Masqueray (E.), 2ème rapport à M. le Général Chanzy gouverneur général de l'Algérie sur la mission dans le sud de la province de Constantine , R.Af. ,N°21, 1877.
- Mispoulet (J.), « L'inscription D'ain-Ouassel », Nouvelle revue historique de droit français et étranger, vol. 16.1892 .
- Pachtère Félix-Georges de. Le règlement d'irrigation de Lamasba. In : M.A.H, tome 28, 1908.
- Pavis d'Escurac Henriette. Irrigation et vie paysanne dans l'Afrique du Nord antique. In : Ktèma : civilisations de l'Orient, de la Grèce et de Rome antiques, N°5, 1980.
- Peyras Jean. La potestas occupandi dans l'Afrique romaine. In : Dialogues d'histoire ancienne, vol. 25, n°1, 1999.
- Peyras Jean. Le Fundus aufidianus : étude d'un grand domaine romain de la région de Mateur (Tunisie du Nord). In : Ant.af., 9,1975.
- Picard (Gilbert Charles.), La civilisation de l'Afrique Romaine, librairie Plon, Paris, 1950.
- Saumagne Charles. Inscriptions de Jenan ez Zaytoûna. In : C.R.A.I, 81^e année, N. 4, 1937.
- Saumagne Charles. Les vestiges d'une centuriation romaine à l'est d'El-Djem. In : C.R.A.I, 73^e année, N. 4, 1929.
- Shaw Brent D. Lamasba : an ancient irrigation community. In : Ant.af, 18,1982.
- Shaw Brent D. Water and society in the ancient Maghrib : technology, property and development. In : Ant. af., 20, 1984.

- Soyer Jacqueline. Les cadastres anciens de la région de Saint-Donat (Algérie). In : Ant.af., 7,1973.
- Thouvenot Raymond. Une remise d'impôts en 216 ap. J.-C.. In : C.R.A.I, 90^e année, N. 4, 1946.
- Tissot Charles. Lettre à M. E. Desjardins sur la découverte d'un texte épigraphique. Table de Souk El-Khmis (Afrique). In : C.R.A.I, 24^e année, N. 1, 1880.
- Toutain Jules. L'inscription d'Henchir Mettich. Un nouveau document sur la propriété agricole dans l'Afrique romaine. In : C.R.A.I, t,11, 1^e partie, 1902.
- Troussel Pol. De la montagne au désert. Limes et maîtrise de l'eau.. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°41-42, Désert et montagne au Maghreb, 1986.
- Troussel Pol. Les bornes du Bled Segui. Nouveaux aperçus sur la centuriation romaine du Sud tunisien. In : Ant.af, 12,1978.

3. نسخ الكترونية:

- Buttner Stéphane (2020), France de l'Antiquité à l'époque moderne : Heritage ou reinvention permanente ? Édition des travaux historiques et scientifiques, <http://doi.org/10.4000/books.cths.10932>.
- Camps (G.), « Araire », Encyclopédie berbère, no 6, 1^{er} janvier 1989. URL : <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2572>
- Camps-fabrer(H.), « Huile », Encyclopédie berbère , 23 | 2000, document H62. URL : <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/> 1613.

- Cristina Amandine (et d'autres) (2022), « La conformation des equitii de l'Afrique romaine d'après les sources textuelles et les mosaïques », Les « salles à auges » : Des édifices controversés de l'Antiquité tardive entre Afrique et Proche-Orient, Collection de la Casa de Velázquez (in French), Madrid, URL : DOI : <http://doi.org/10.4000/books.cvz.33695>
- Jean-Pierre Laporte, « Pressoir », Encyclopédie berbère, 38 | 2015, document P59. URL : <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/3820>.
- Lionel R. Decramer et d'autres, « Approche géométrique des centuriations romaines. Les nouvelles bornes du Bled Segui », Histoire & mesure, XVII – ½ | 2002. URL : <http://journals.openedition.org/histoiremesure/903>

.IV. الرسائل والدراسات الجامعية:

1. باللغة العربية:

- خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في أفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2013-2012.
- سعاد سليمان، منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2004
- السعيد تريعة، الزراعة و الري جنوب الأوراس في الفترة القديمة من خلال المخلفات الأثرية، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة أبو قاسم سعد الله، الجزائر، 2016-2015.
- سميرة عطية، أثر التشريعات الرومانية على الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في بلاد المغرب (146ق.م-429م)، أطروحة دكتوراه، العلوم الإنسانية و الاجتماعية – تاريخ بلاد المغرب القديم، جامعة حمّه لخضر، الوادي، 2023-2022

- سهام حداد، سلسلة موانئ الشرق الجزائري القديمة (دراسة تاريخية وصفية اعتمادا على المصادر المادية المحلية)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قسم التاريخ والآثار، جامعة متنوري، قسنطينة، 2008-2009.

2. باللغة الأجنبية:

- Martine Elizabeth Agnès, The Role and Position of Women in Roman North African Society, Doctoral Thesis, Literature and Philosophy – Ancient history, University of South Africa, 2002.

٧. المعجم والقواميس:

- Quicherat (L.-M.), Dictionnaire Latin Français, 41^e édition, Gr. In-8°, Librairie Hachette, 1910.
- Saglio (E.) et Daremberg(Ch.), Dictionnaire des antiquités Grecques et Romaines (D.A.G.R), T.II, volume2 ,éditions Hachette, paris, 1873-1919, p1366-1367.

٧١. مواقع انترنت:

- https://www.musee-cherchell.dz/Arabe/collections_mosaiques.html
- www.gruppo.acea.it/en/stories/sustainability-territory/
- www.musee-cherchell.dz
- www.travelthewholeworld.com
- www.revistalaocaloca.com/2011/06/laesclavitude-en-roma/
- www.bardomueum.tn/index
- www.meisterdruck.ae

- <https://amezruyimizighen.wixsite.com>
- Chrystelle Berthon (2000), Petite chronologie de l'histoire romaine -III, URL : <https://odysseum.eduscol.education.fr/petite-chronologie-de-lhistoire-romaine-iii>
- Isa Germain, (2020), le droit romain a la periode du Dominat (284-476. Après J.C), URL : <https://cours-de-droit.net/droit-romain-a-la-periode-du-dominat-284-476-apres-jc/>

الفهرس

فهرس الموضوعات

مقدمة:.....أ- ز

الفصل الأول: أوضاع الزراعة في بلاد المغرب قبل الفترة الإمبراطورية...2

- I. بدايات الزراعة في بلاد المغرب القديم.....2
- II. الزراعة في العهد القرطاجي.....6
- III. تطور الزراعة في العهد النوميدي.....9
- IV. دور فترة ما قبل الاحتلال الروماني في تهيئة القاعدة الفلاحية خلال الفترة الرومانية.....14

الفصل الثاني: التخطيط الزراعي والطابع القانوني للأرض.....18

- I. القوانين والتشريعات الفلاحية.....18
 1. النصوص الأثرية والقانونية.....18
 2. قانون مانكيانا وهادريانا.....25
 3. تشريعات الري حسب نقيشة لاماصبا.....29
- II. تنظيم واستغلال الأرض.....32
 1. نظام المسح وكنطرة الأرض.....32
 2. المستثمرات والوحدات الإنتاجية.....37
 3. نظام استغلال وتسيير المستثمرات الزراعية.....40
- III. الضرائب الزراعية.....45

45.....	1. ضريبة الأرض
46.....	2. ضريبة الإنتاج
49	الفصل الثالث: آلية السير الميداني للعملية الزراعية والإنتاجية
50.....	I. الوسائل الزراعية واستغلالها للأرض
50.....	1. المحراث وعملياتي الحرث والبذر
55.....	2. أعمال الحصاد والدرس
58.....	3. استغلال الحيوانات
60.....	II. عملية السقي
60.....	1. منشآت التجميع والتحكم
63.....	2. منشآت التخزين والتوزيع
67.....	III. المنتجات الزراعية
67.....	1. القمح
70.....	2. الزيتون
72.....	3. الكروم
77.....	خاتمة
81.....	قائمة الملاحق
84.....	البيبليوغرافيا
96.....	الفهرس